روايات عبير الجديدة

كاي ثورب

همس الصحراء

www.elromancia.com

مرمورية

همس الصحراء

كاي ثورب

عندما قالت عرضاً ماري بديتون انها مهتمة بمعرفة طرق حياة العرب. لم تتوقع انه خلال دقائق سيظر عربي وسيم من العدم ليخطفها على حصانه الى الصحراء. لكن هذا ما حصل.

لكن لم يكن العربي كما بدا لماري. لم يصب بأذى من مغامرتها لكن ذلك ما افترضته براحة ولم يكن.

فقد التقت بهمجيها الصحراوي ثانية هذه المرة بعيداً آلاف الاميال في الهند الشمالية حيث وقعت في غرامه لكنه هذه المرة كان ابعد من متناولها، بعيداً كشيخ قبيلة عربية. تماماً كما تصورته.

الفصل الاول

كانت حديقة الفندق انوارها خافتة، يتأرجح فيها رذاذ من هواء البحر، بينما ضربات الموسيقى آتية من قاعة الحفلات.

خرجت ماري من قاعة الرقص لتهرب من رجل ملحاح في مقتبل العمر الذي يبدو انه لا يميز الرفض المهذب لخمسة ايام وهو يطاردها صباحاً ومساءً، حتى قررت انه من الافضل الاختباء منه، بدلاً من قول تلك الكلمات التي كانت تتأجج فيها، التعقل والتحفظ هو افضل جزء من الشجاعة، هذا ما كان يردده ابيها.

فعلى كل حال هو خطاها اولاً واخيراً في القدوم الى هنا، فالبحث قد وعدها بعالم قديم اكثر غموضاً منها، وها هي قد طارت الى هنا لتجد نفسها سجينة عالمها المكيف، مياه ساخنة وسجاد ارضي، غير قادرة على الوصول الى العالم السري الذي لمحته في زيارتها الى الكاسباه.

كانت زيارتهم مختصرة فلم يستطيعوا التعرف اكثر عليها لكن بطريقة ما اصبح الاسبوعين في الصحراء الغامضة عطلة في فندق فخم، وقد ملت كل هذا.

صحيح ان الصحراء تقع هناك، قرب البلدة لكن ابنية الفندق بدت وكأنها حاجز بينها وبين اصحاب العطل والاجازات.

تنهدت، فجأة جفلت من صوت وراءها فاستدارت مندهشة لوجود السيدة براون بجانبها ترنو بسعادة.

«اليس هذا خلاباً؟ انظري الى ذلك المنظر شاعري اليس كذلك؟ آه... انا اقضي وقتاً جميلاً هنا».

هذا الصوت الحماسي جعل ماري تحسدها، فقد ربحوا اسبوعين في هذا الفندق في مباراة هي وزوجها.

«انا سعيدة لانك تمتعين نفسك» قالت ماري.

«انت تتمتعين بها، اليس كذلك؟» حدقت السيدة براون فيها بحشرية.

«بالطبع» قالت ماري محاولة ان تبدو صادقة فها هي ابنة جيمس برينتون رئيس القاعدة الالكترونية الرئيسية في جنوب انكلترا، والتي كان الجميع ينظر اليها كلما مرت او تمشت في الفندق، فهي من النوع المرفه، الثمين ذات احدث الموديلات، ومع هذا كله لم تشعر بالسعادة الحقيقية في كل هذا.

«ماذا عنك؟» سألت السيدة براون «تمتعت بالرحلة الى كاسباه، اليس كذلك؟ فقد لاحظت مدى سعادتك عندما جلسنا في المقطورة، لا اخفي عنك كم كنت متوترة حينها

فبعض هؤلاء العرب فاسدين، اعني انهم يقولون انه ما زال يوجد عبيد في بعض انحاء العالم العربي، يجب ان تكوني حذرة جداً هنا. اذا ذهبت بعيداً جداً عن مظاهر التمدن من يدري ماذا يمكن ان يحصل؟».

ضحكت ماري «اعتقد انني افضل الابتعاد عن مظاهر التمدن هذه. فلقد مللت الانسياق في بركة السباحة اشرب كوباً من الشاي على المائدة، اتجول بمقطورة مكيفة، انظر الى العالم من وراء النافذة... اتمنى ان اذهب لاكتشف بنفسي اشياء، اكتشف كيف هو العالم الحقيقي هنا...».

بدت السيدة براون مرعوبة.

«لا يمكن ان افعل شيء كهذا ابداً، يا عزيزتي، فأنت فتاة جميلة جداً فأنت تبدين اوروبية من شعرك الجميل هذا، فلقد لاحظت بعض الرجال هنا كيف يسترقون النظر اليك، لو كنت مكانك لبقيت في مكان آمن».

«آه... آمن» استدارت ماري لتنظر الى القمر.

«اتيت الى هنا لارى الصحراء البرية الاماكن الخالية في العالم ليس لاكل طعام فرنسي وارقص على الموسيقى الحديثة اعتقد ان لدي حلم شاعري، مثلك تماماً سيدة براون، كما حلمت بالفوز بجائزة لكن حلمي من الصعب الوصول اليه».

«اتوقع انك رأيت اماكن عديدة جميلة فاصبح من الصعب اقناعك» قالت السيدة براون.

استدارت ماري نحوها وابتسمت.

«اعتقد انك على حق، انا آسفة، لم ارد افساد مرحك

بنحيبي».

«آه، لم تفعلي» قالت السيدة براون وابتسمت.

«تعالي الى قاعة الحفلات وارقصي مع ذلك الشاب الذي يبدو انه معلق بك».

«بعد قليل، فلدي صداع خفيف، والهدوء هنا هو خير دواء لي».

«لدي بعض الاسبرين، هل تريدين بعضه».

«لا، فلحظات قليلة هنا في هذا الهواء البارد افضل من الحبوب».

«اجل، اوافقك الرأي» وقفت ونظرت نحو قاعة الحفلات.

«لا تقلقي بشأني، سأكون بخير، عودي انت، وتمتعي بوقتك، فالرقص يفوتك».

«حسناً، ما دمت متأكدة» وهرعت السيدة براون الى الرقص، تاركة ماري متكئة على الحائط تتنشق شذا ازهار الليل في الحديقة.

سمعت صوتاً ضعيفاً بين الاشجار تحت الحائط الذي تتكيء عليه، فنظرت للاسفل، ولم ترى شيئاً، لا بد انها احدى القطط الجائعة التي تجول حول مطبخ الفندق هكذا فكرت.

استدارت مجبرة فاذا بقيت هنا اكثر، فقد ترسل السيدة براون ذلك الشاب الممل وراءها.

بينما كانت تسير ببطء بين سعفان اشجار النخيل صرخت بصوت مخنوق، وقبل ان تستطيع قول اي شيء

وقع على رأسها شيء مظلم كاتماً صرختها وعامياً لها عيناها، رفعتها ذراعين قويتين كلعبة وحملتها بعيداً، قاومت بضعف اتسع الذعر فيها، ثم كادت او سمعت صوت ضحكة.

ادركت ان مقاومتها ذاهبة سدى فبقيت جامدة محاولة معرفة الى اين تؤخذ، شمت رائحة البحر تقترب اكثر واكثر سامعة همهمات الامواج، ثم بعد لحظة ادركت ان معتقلها يسير في البحر.

فجأة انزلتها الذراعين التي امسكتها على شيء صلب فحاولت فك يديها لكن قبض على معصميها وقيدا برباط حريري.

«اثبتي في مكانك» همهم صوت عميق قربها.

«اذا حاولت الهرب ستغضبيني».

«انت ككل النساء تثرثرين بغباء، اصمتي الآن».

غرقت في صمت عميق، تستمع الى بدء تحرك القارب، صارت تتنفس بصعوبة في ذلك الثوب الموضوع على رأسها فجأة توقف القارب، فنزل آسرها وحملها ثم مشى نحو الشاطيء فيها، هكذا توقعت من طريقة سيره.

يبدو ان ذراع حاملها لا تتعب ابداً فها هو يحملها دون بذل اي مجهود، ثم سمعت صوتاً جديداً صوت فتح باب، ثم اغلاقه خلفها، قبل ان تحظى بوقت للتفكير فكت يداها، وفك الثوب من على رأسها.

طرفت عينيها لضوء الشمعة المفاجيء فرأت جسماً طويلاً فوقها، كان طويلاً جداً حتى انها شعرت انها نظرت

بعيداً جداً حتى وصلت الى وجهه كان يرتدي ثوباً ابيض اللون وعلى رأسه غطاء مزين بشريط ذهبي، وجهه مغطى بغطاء رأسه ليخفي شخصيته نظر اليها بتغطرس بعينين قاتمتين في وجه نحيل اسمر مليء بالعجرفة والقسوة والكبرياء.

«من انت؟» سألت بصوت يشوبه الحذر «ولماذا احضرتني الى هنا؟».

كشف فمه القاسي عن ابتسامة ساخرة.

«من انا، امر غير مهم فقد كنت على الشاطىء عندما كنت تتكلمين مع صديقتك، وسمعت انك تودين التعرف على الحياة العربية او كما قلت البرية، والاماكن الخالية من الصحراء لذا احضرتك الى هنا لتحققي حلمك».

جلست ماري ترتجف من الخوف.

«لا بد انك مجنون كيف تتجرأ على اختطافي هكذا! سيلاحظون الآن اختفائي، وسيفتش بوليس المدينة بحثاً عني، أبي رجل مهم جداً، سيغضب كثيراً».

«آه» قال ببطء «اباك كم تظنين انك تساوي بالنسبة له؟ كم سيدفع جيمس برينتون ليسترد ابنته؟».

حدقت به في ذهول.

«اذاً هكذا احضرتني الى هنا لتطلب فدية، لكن... كيف عرفت من انا؟ لا بد ان كل شيء قد خطط له...».

«كيف عرفت من انت؟ يا عزيزتي آنسة برينتون، فصورك تظهر كفاية في المجلات الانكليزية ماري برنيتون وريثة ثروة آل برينتون، تتعشى مع شاب وسيم مؤهل

للانتخاب... او ترقص او تتزلج في جبال الالب... فانت اكثر امرأة يتحدثون عنها».

«اذاً انت محتال رخيص تبحث عن طريقة سهلة لجمع المال؟».

«ليس رخيصاً، آنسة برينتون» قال بسخرية ناظراً الى فستانها الحريري الابيض الكاشف عن كتفيها وجزء من صدرها.

«حتى انت، هل انت رخيصة آنسة برينتون؟ اعتقد انك سيدة غالية الثمن بالنسبة لرجل يحب النساء البيض غير المستهلكات، ستكونين جائزة مغرية ربما سأحصل على مال اكثر اذا اعطيتك الى شيخ من شيوخ النفط بدلاً من ابيك».

ذعرت من طريقة تجول نظراته على جسدها، لكنها حاولت تحويل انتباهه عنها.

«كنت ستطلب من أبي، على كل حال؟» سألت بقوة.

نظر اليها بتفهم، فقد ادرك دوافعها في سؤالها هذا.

«ماذا تقترحين؟».

«ليس لدي ادنى فكرة».

«ربما، نصف مليون جنيه».

«انت مخبول! نصف مليون جنيه».

«انت متأكد ان اباك سيدفع اكثر من هذا لاسترجاعك سليمة، على كل حال يجب ان يدرك ان اي رجل يمتلكك في سلطته يشكل هذا له اغراءً كبيراً ليتمتع بالمسرات والملذات التي يظهرها ثوبك».

«لا تلمسني... ايها... يا زبال الشوارع».

الفصل الثاني

بصقت الكلمات بغضب، فقد سمعتهم مرة من احد العاملين في الفندق يقولها لشحاذ جلس على مدخل الفندق ابتسم بتهكم.

«لتجعلي هذا يبدو مهيناً عليك ان تقوليها بالعربية».

«اذاً اتمنى لو كنت اجيد العربية».

«ربما سأحظى ببعض الوقت لاعلمك، اظن ان هذا سيكون ممتعاً».

«لا تزعج نفسك».

«اللغة العربية هي لغة تجعل من الحب احاسيس جميلة فهي مليئة بقصائد الحب، وفي بعض الامسيات يجلس البدو حول النار ليتلوا قصائد حب لساعات يتنافسون فيها بينما تتألق النجوم بقوة فوق رؤوسهم...».

«انت تجعلها تبدو شاعرية جداً، لكن اعتقد انها بعيدة عن الحقيقة».

www.elromancia.com

«وانا اعتقدت انك كنت منجذبة الى شاعرية الصحراء فقد بدوت تواقة وكئيبة عندما تحدثت عنها مع رفيقتك. . .».

«كنت تستمع طوال الوقت».

«لقد عبرت عن رغبة في تذوق الحياة الحقيقية للعرب».

قال بطريقة جافة.

«حسناً لديك امنيتك. . .» ابتعد عنها، حاملاً الشمعة.

«بيت عربي نموذجي، آنسة برينتون، جميل اليس كذلك؟ شاعري ومثير. . .».

تجولت عيناها في هذه الغرفة ذات السقف الواطي والى تلك الكنبات الارضية المزدانة بالرسوم.

«انت مرغوبة جداً آنسة برينتون، استطيع الحصول على ثمن مرتفع على شعرك الذهبي هذا وبشرتك البيضاء وعيناك الزرقاوان، فانهم يحبون هذه الالوان هنا وحياتك في الحريم لن تكون صعبة، فستكون حياة تافهة مترفة، كما كانت حياتك دائماً، الفرق الوحيد هو انك ستتعلمين فنون حسية ومطلقة اكثر من تلك الرياضة التي كنت تمارسيها».

«لن. . . لن تجروء. . .».

ضحك بنظرة مبتهجة اضاءت وجهه وجعلت جاذبيته مدمرة.

«لو عرفتني اكثر آنسة برينتون، لن تحاولي قذف اي تحديات لم يقل لك احد ما ان العرب يحبون التحديات».

«سيدفع لك ابي الفدية لن تحصل على اكثر. . . وبأي طريقة اخرى. . .» قالت وهي تهتز من الخوف.

فرك ذقنه وهو يفكر «اتساءل. . .».

«سيفعل» اصرت.

تفحص كل نقطة فيها من جديد.

«اجل، اظنه سيفعل».

شعرت بغثيان في امعائها.

«هي يمكنني الحصول على بعض الماء؟ انا ظمآنة».

لم يتحرك في البدء وبقي يراقبها، فقالت بعصبية.

«ارجوك. . . بعض الماء. . .».

تلامست يداهما عندما اعطاها الكوب، فشعرت ماري بنفسها ترتجف، فرشفت منه ووقفت وكأنها تريد اعطاءه الكوب من جديد فانحنى ليلتقطه منها، لكنها قذفت المياه في وجهه وركضت نحو الباب، وهرعت الى الخارج لتقف متجمدة فقد وجدت نفسها في سوق محتشد.

سرعان ما لفت ظهورها النظر وفي خلال ثوان كانت محاصرة بحشود عربية يصرخون عليها بعضاً منهم يلمسون ثوبها، بينما حاول آخرون بيعها طوابع تذكارية او يعرضون عليها ارشادها للعودة الى الفندق، كانت مذعورة ترتجف فاستدارت نحو رجل يبدو وكأنه اكبرهم.

«ارجوك هل تأخذني الى فندق مارينا».

«اجل سيدتي» قالت بتلهف محاولاً اخذ السعر المناسب.

لكن فجأة تكلم من خلفهم صوت قوي باللغة العربية،

فابتعدت الرجال عنها بصمت.

وكأنها غارقة في حلم رأت ماري اللباس الابيض والعقدة الذهبية فأمسكها من كتفيها وهزها بعنف مزمجراً.

«ايتها الحمقاء الصغيرة!» ثم تكلم ثانية بالعربية، فبدأت الحشود تضحك، نظرت ماري حولها برعب.

حملتها الذراعين الصلبتين ثانية ووضعها على كتفه، وسار بها نحو البيت، فادخلها واقفل الباب باحكام ثم رماها على الكنبات.

«ايها الوغد! لقد تمتعت بذلك».

«اجل وانت استحقيت ذلك».

«ماذا قلت لهم؟».

«قلت لهم انك امرأتي التي هربت مني، فنصحوني بضربك ثم ممارسة الحب معك، واكدوا لي ان هكذا معاملة ستجعلك اكثر طاعة في المستقبل، لقد تتبعت الجزء الاول من النصيحة، ربما علي الآن تتبع النصف الأخر».

«اذا لمستني سأصرخ» دمدمت باحتدام ضعيف.

«تهديدات فارغة، آنسة برينتون» ركع قربها.

شعرت بضعف انثوي فيها، ماذا لو نفذ ما قاله، ماذا يمكنها ان تفعل؟».

«كم من الوقت ستحتجزني هنا؟ عندما يظهر نبأ اختفائي، ويضعون جائزة لمن يجدني، لا بد ان بعض الرجال في السوق سيعلمون البوليس بمكاني».

«لكن عندها نكون قد ابتعدنا آلاف الاميال في قلب

الصحراء» قال ببرود.

قفز قلبها مضطرباً «في الصحراء؟».

«اعتقدت انك تتوقين لرؤية الصحراء، الست متشوقة لركوب الخيل في الرمال الخالية معي، نستلقي تحت النجوم، والريح رفيقتنا؟ سأريك قيمة الرمال والسماء، سأعلمك كيف تقدرين الجمال...» قال بسخرية.

«آه، اصمت!» صرخت بمرارة.

«انت على النقيض تماماً، كما يبدو يا آنسة برينتون هل تعبت بهذه السرعة من اثارة الحياة العربية؟».

تلهفت للانفجار بالبكاء، لكنها صممت على ان لا تظهر له اي ضعف، خوفاً من ان يحتقرها او يستخف بها.

ابتعد عنها، وفتش في الخزانة ثم عاد حاملاً ثوب صوفي طويل كالخيمة.

«ارتدي هذا».

«لماذا؟» سألت مشككة، ناظرة اليه بجمود.

«لا تجادلي، ارتدي هذا، اذا لم تطيعيني عندما اعطيك اي امر، سأكون مرغماً على جعلك تفقدين وعيك، وانا متأكد انك لا تريدين هذا».

حملت الثوب على مضض وارتدته فشعرت بالدفء.

«اشعر وكأنني خيمة» قالت بغضب.

«انت تبدين كخيمة، لن ينظر اليك اي رجل مرتين» ضحك ووضع يده على طرف الثوب، وغطى لها رأسها ونصف وجهها.

«الآن يمكن ان تكوني اي امرأة عربية».

«شكراً جزيلاً».

«تبدين كطفلة حزينة» ضحك.

«انا اكرهك» غمغمت تحت ثوبها خوفاً من ان يسمعها.

«تعالي» قبض باصابعه على معصمها.

«علينا ان نذهب الآن، فليل الصحراء بارد. ستسعدين بعد قليل بخيمتك هذه».

خرجوا من الغرفة متوجهين نحو اسطبل خلف البيت. تكلم بالعربية مع فتى في الاسطبل فأومأ برأسه، فذهب ثم عاد بعد لحظات جاراً حصانين مجهزين للرحلة.

ركبوا بعيداً تحت شجر النخل تاركين الفتى وراءهم محدقاً.

«ستتجه نحو وادي عويضة» قال.

مشت الخيول بصمت على الرمال، والهواء البارد كان لطيفاً على وجهها، اضاء القمر الرمال فبدت دون ظلال. حيث لا يوجد علامة رئيسية لبدء الارض.

فجأة بدا في الافق دخان من مخيم نار، قرب واحة تلفها اشجار النخيل.

«البدو» قال عندما رآها تحدق بذلك الاتجاه، ثم اتجها نحو ارض بدت اعلى من الباقي، فتسلقتها الخيول، فرأت واحة ثانية تلفها اشجار النخيل مضاءة بشعاع القمر.

«وادي عويضة» قال وهم يتجهون نزولاً نحوه.

«لا بد ان البدو رحلوا من هنا منذ حوالي الساعة، احضري بعض الحطب».

«انا منهكة» قالت بغضب.

«افعلي كما اقول لك».

«ظهري يؤلمني وانا متيبسة» قالت باكية.

«جميعنا تعبون» قال «الخيول بحاجة للماء احضري قدر ما تستطيعين من الحطب واشعلي ناراً...».

وجدت بعض الاغصان من اشجار متيبسة، ونجحت في اشعال النار وجلست قربها كطفلة تعبة، بينما هو في هذه الاثناء احضر المياه للخيول واطعمهم، ثم تحرك نحو النار وفي يده ابريق حديدي قديم.

«املئي هذا من البركة» امرها.

ذهبت مجبرة وملأته، فوضعه على النار بيد خبيرة.

«سنشرب بعض القهوة».

صنع قهوة سوداء قوية فصب لها فنجاناً.

«انها غير محلاة» حذرها، وضحك بينما هي بقت القهوة من فمها «قهوة جيدة؟».

رشفت منها ثانية «جيدة» قالت بتنهيدة.

«نامي الآن» قال وهو يأخذ الفنجان من يديها.

استلقت ببطء وهي تراقبه بحذر، يبتعد عن النار يسير بثبات ورشاقة وكأنه لم يركب الخيل طوال الليل في الصحراء.

سمعت صوت انزلاق على الرمل... فحركت عينيها بعصبية باتجاه النار... ثم صرخت، وتجمدت عندها.

«ما بالك؟» استدار نحوها من جانب الخيل.

«افعى» همست دون ان تطرف لها عين.

«لا تتحركي» قال وهو يتقدم نحوها ببطء «ما لونها؟».

www.elromancia.com

«سوداء صغيرة» همست.

«لا تتحركي، لا تتنفسي حتى».

وفجأة بدأت تتلوى بسرعة متوجة ثم حصل انفجار مدو، فانقسمت الافعى الى نصفين.

الفصل الثالث

وقفت ماري وهي تبكي بتقطع وتهتز من رأسها حتى قدميها شدها الى ذراعيه واضعاً يده على راسها.

انتحبت بهدوء مرتجفة كورقة شجر متعلقة به.

«لقد مانت، لا عليك لقد كنت شجاعة جداً لا عليك الآن، لا تستطيع اذيتك بعد الآن..».

«كانت... كانت صامتة جداً» همست «لقد... انزلقت نحوي...».

«انهم يأتون بحثاً عن الدفء» قالت بلطف.

«هل هم سامون؟».

«جداً» قال بعدم احساس.

رفعت رأسها مرتعدة، لكنها لم تستطع كبت ضحكتها.

«آه، انت صادق جداً لماذا لا تكذب علي؟».

«سأكذب عليك، اذا اردت آنسة بريتون».

نظرت الى وجهه المبهم القاتم، ابتسمت بجفاف.

www.elromancia.com

«ستكذب على اي حال، دون شك. على كل حال ماذا اعرف عنك؟ حتى انني لا اعرف اسمك، انا اعرف فقط انك خاطف ما. انقذت حياتي، وانا ممتنة لك، لكن انت من وضعني في مكان خطر كهذا».

«عزيزتي آنسة برينتون» تمتم بسخرية.

«لا تناديني هكذا بعد الآن».

«ماذا سأناديك اذاً؟ ماري...» قالت بنغمة موسيقية.

«اذا اردت... وبماذا سأناديك انا؟».

نظر الى عينيها بتفكير ملي

«العرب ينادونني خالد».

تحركت فيها حشريتها.

«وماذا ينادونك الناس الآخرين؟ او ليس من المفروض ان اسأل».

ابتسم «بدو الصحراء لديهم قول... ان النساء تطعن بلسانها او بعينيها... هو مطابق لك تماماً ماري».

«لو لدي اي شيء آخر لاطعن به لاستعملته».

«اصدقك» ضحك وتركها ثم اعطاها خنجر دمشقي.

اخذته وهي تشعر بغضب فظيع، لكنه بلا فائدة فاذا قتلته لن تجد طريق عودتها ابداً، فربما ستموت هنا، او يختطفها البدو، فرمت الخنجر من يدها.

«انت تعلم انني لن استعمله، لذلك اعطيتني اياه».

«صحيح والآن جديه واحضريه الي».

«جده بنفسك».

امسك لها كتفيها بعنف «جديه الآن».

تحركت بغضب واحضرت له الخنجر.

«الآن نامي» قال بهدوء.

استلقت بحذر قرب النار، فتحت عينيها لتراقبه وهو جالس بجانبها، فوجدته يحدق بها.

«نامي ماري، فليس لدى الرغبة في اجبارك على ممارسة الحب».

شعرت يدها تتدفق الى وجنتيها تساءلت كيف يمكن ان تشعر اذا فعل هذا... ثم طردت الفكرة من رأسها تحتقر نفسها لمجرد التفكير بهذا، ثم نظرت اليه من جديد بطرف عينها، فوجدته ما زال ينظر اليها.

«ماذا الآن؟ هل خاب املك لانني لم اهجم عليك، آنسة برينتون؟ بالطبع اذا اصريت...» حدق بها ساخراً.

«يمكنني اجبار نفسي على ممارسة الحب معك، اذا لم تستطيعي النوم دون...».

«الا يمكنك النوم في الجانب الآخر، انت تجعلني متوترة» طالبت.

وقف قربها ثم اجلسها على ركبتيها، وقبلها بعنف وهو يحتضنها، كانت تعلم انها تتجاوب معه، شعرت بحرارة احاسيسها، لكنها كانت ضعيفة جداً لتقاوم فلم يشعرها اي رجل من قبل بهذا الضعف الانثوي.

فجأة تحررت، ابتعد عنها، ذهب ليحزم الامتعة.

«اين سنذهب الآن؟ انا تعبة جداً لاركب الخيل».

«سنعود، يجب ان نعود قبل الفجر».

«نعود؟» قالت متشككة.

«الى فندقك» قال بكآبة، ممتطياً حصانه، واتجه بسرعة الى التلة الرملية خلف الواحة.

توقفت ماري على حصانها محدقة به غير مصدقة ثم تبعته.

«لماذا؟ لماذا غيرت رأيك؟» لم يجبها لكنها تساءلت عن السبب، هل هو بسبب قبلتهما الآن؟.

هل رق لها ام شعر بالاسف نحوها؟ لماذا غير رأيه؟.

«لن اخبر احداً عن هذا، لن اخبر البوليس، سأقول انني ذهبت لركوب الخيل وتهت».

نظر اليها نظرة مبهمة.

«ربما تهنا سوياً» قال بغموض.

«ماذا تعني؟» سألت بارتياب.

«لا يهم».

مشوا في طريقهم او بالاحرى عادوا في ذات الطريق التي أتوا منها، واعادوا الخيول الى الصبي العربي في الاسطبل، وهناك نظر الى وجهها الشاحب وقال.

«الله وحده يعلم لماذا اتخلى عن جائزة عمري» قال بنعومة ثم اضاف.

«انت جميلة جداً كشروق الشمس».

تأثرت بمجاملته «شكراً لك».

حملها الى الشاطىء، حتى وصلوا الى القارب، فذهبوا الى الشاطىء الموازي عند الفندق الحديث.

«اتركني الآن، استطيع الذهاب الى غرفتي، دون ان يراني احد ومن الافضل ان لا يراك احد».

اوما موافقا وراقبها تصعد حاملة ثوبها ثم تمشي ببطء على الرمال، نظرت اليه متضايقة لتركه فلقد ازاح الثوب من على رأسه.

«اذا احتجت مالاً يا خالد، بامكاني مساعدتك» قالت بعصبية.

تصلبت ملامحه وعلا الغضب وجهه وقال بغيظ شديد.

«تصبحين على خير، آنسة برينتون، عندما رأيتك أول مرة، ظننت انك شخص نموذجي لمجتمع منحط، تافه وسخيف، ويبدو انني على حق».

وقبضت يداه على مجاذيف القارب وابتعد به، راقبته ماري كارهة نفسها على قول هكذا ملاحظة حمقاء وغير لبقة، ثم استدارت ومشت نحو الفندق، فلم تجد اي اشارة على ان احداً افتقدها، فصعدت الى غرفتها وخلعت الثوب الصوفي الذي البسها اياه خالد، ثم خلعت فستانها ودخلت للاستحمام ثم ارتدت قميص نومها واستلقت في سريرها حيث غلبها النعاس.

تساءلت اذا كان كل ما حصل لها الليلة كان مجرد حلم، تلاشت الاحداث في نوم عميق وكأنها تستلقي مرة اخرى قرب مخيم النار بين ذراعي خالد وغرقت في انفعالات قبلته دون لحظة تردد، محررة من اغلال الطبقية، لتدعم الحرية والتأكيد الذي منحها الحلم للعقل البشري، لم ترد ابداً ان تستيقظ.

كان المطر ينهمر بغزارة وهم يبتعدون عن هيثرو فأحست ماري برجفة برد بدت غير محتملة بعد اشعة الشمس

العربية، وصارت صورة الواحة في وادي عويضة تتقارن مع انكلترا الباردة، فأحست بألم مفاجيء في قلبها.

«ما بك؟» سأل جيمس برينتون بلطف، وهو ينظر اليها.

«لا شيء، انه الطقس...» ابتسمت له.

«الطقس الانكليزي الجيد» ابتسم.

لقد كان رجلاً صغير الحجم ذو شعر فضي وعينين رماديتين بنى نفسه من اعمال صغير كوّنها مع ابيه.

«تبدو تعباً يا ابي» قالت وهي تتفحصه بتعابير فضولية.

«لقد زرت امك» اجاب بتجهم.

لقد انفصلا والديها عندما كانت في سن المراهقة فقد هربت امها الشقراء الجميلة مع مليونير من اميركا الجنوبية كانت امها تظهر من حين لآخر في لندن لتزور ماري، ولتحضر لها بعض الهدايا والفساتين التي غالباً ما تكون صغيرة عليها.

فأمها كانت دائماً تعتبرها ما زالت صغيرة ولن تكبر ابداً وقد احتجت ماري لابيها على ما تفعله امها، فقط لتراه يبتسم.

«يا عزيزتي امك تخاف من الكبر، فبينما تستطيع التصديق انك ما زلت فتاة صغيرة، يمكنها ان تصدق انها ما زالت شابة، عندما ستجبر على الاعتراف انك امرأة شابة، ستشعر بالهرم وهذا سيدمرها».

فكرت بهذه المحادثة الآن وهي تراقب وجه ابيها، هل ما زال يحب امها؟ لم يظهر ابداً مشاعره الحقيقية نحو امها عندما تأتي الى لندن لزيارتها.

«تريد ان تراك الليلة» قال جيمس برينتون دون ان ينظر اليها.

«ايجب ذلك؟» قالت ممتعضة.

«انها امك» قال ابيها بلطف.

«عندما تتذكر هي هذه الحقيقة» قالت ماري بمرارة.

«اعتقد انك يجب ان تريها وحاولي ان تكوني لطيفة معها».

«لماذا؟ ماذا تعني؟».

«لقد مات زوجها؟» قالت جيمس برينتون بحذر.

«آه، فهمت» قالت بنبرة مبهمة.

«لقد ورث ابناءه كل شيء» اضاف دون اي انفعال.

«آه، لا اذاً لهذا تحتاج لبعض الحنان؟ لقد ضاعت الثروة التي كانت تتوقع ان ترثها!» كادت ان تنفجر من الضحك.

«لا احب ابداً سماعك تتكلمين هكذا، اريدك ان تكوني لطيفة معها انها حزينة جداً».

«حزينة؟ ليس لأن زوجها قد مات بل بسبب المال الذي لم تحصل عليه!» قالت بمرارة.

«منذ متى لم ارها؟ سنة، ومن حينها لم احظ برسالة ولا حتى بطاقة بريدية. هل تذكرت يوم مولدي؟ هل ارسلت لي هدية عشية الميلاد؟ انت تعرف انها لم تفعل، ابي، لماذا يجب ان اشعر بأي شيء تجاهها؟».

«لا اعرف لماذا، لكن ما ادركه، انه من الصعب عليك الغفران لها اكثر مني، لكنها امك، وهي تعيسة، ماري

انت كبيرة كفاية لتدركي ان ليس هناك انساناً كاملاً، امك لم تكن ابداً امرأة حنونة او ذات احساس امومي، كانت تخاف من انجاب الاطفال، وتخاف من ان تصبح هرمة، كنت بالنسبة لها كالآلة الحاسبة لعمرها فلا يمكن لامرأة لديها ابنة في العشرين من عمرها ان تكون في الخامسة والثلاثين، هي لم تكن ابداً اماً حقيقية لك، لكن اذا كان بامكانك نسيان ذلك، يمكنها ان تصبح صديقتك فهي بحاجة لصديق الآن».

الفصل الرابع

«آه، يا ابي! لماذا انت ملائكي الى هذا الحد؟» وهي تضحك.

«ربما لأنني ادرك انه لم يجدر بي ابداً الزواج بكلير. فقد كنت دائماً اكبر منها عمراً وعقلاً، هي ارادت الحفلات الرقص، مجموعة معجبين، وانا كنت غارقاً في الاعمال اكوّنها لتنتشر في كل مكان. وافترقنا».

«لا بد انك احببتها كثيراً يا ابي» شعرت ماري بالحرج وهي تسأل.

«كنت مجنوناً بها، لم ارتح حتى اقنعتها بالزواج مني، لكنها ارادت شهرة المجتمع المخملي، وحصلت عليه في النهاية».

«وها قد فقدته الآن» قالت ماري.

«ولهذا هي بحاجة لمساعدتك، اذهبي اليها الليلة في الاوتيل، واستمعي لمشاكلها وحاولي ان تكوني متعاطفة،

www.elromancia.com

حاولي رؤيتها ليس كأم هاربة بل كشخص غريب تماما، وانا متأكد انك ستجديها ساحرة وجذابة».

«ابي انت ما زلت... تحبها» قالت في نبرة متسائلة.

«تبدين مندهشة، ربما انت لست ناضجة كما تظنين».

توقفت السيارة امام المبنى، وبينما السائق ينزل الامتعة صعدت هي وابيها.

«السيدة أبوت ستعتني بك، لدي اجتماع عاجل الساعة الثالثة، لذلك يجب ان اسرع، لقد طلبت لك الغذاء».

«اذاً لن تتناول طعام الغذاء معي».

«انا آسف، لدي اجتماع مهم، فنحن في ورطة».

«آه، هل هي خطيرة ما الامر؟».

«انها مزايدة».

«من الذي يزايد عليكم؟».

«انها شركات اونيكس» اخبرها.

«وماذا يفعلون لقد سمعت اسمها من قبل».

«انها شركة عالمية يملكها العرب».

«العرب؟» محدقة به.

«انها شركة كبيرة تمتلك عدة شركات في انكلترا، الكترونيات اطعمة بترول صناعة... انهم يعرضون سعراً على اسهم شركائي اشك في انني استطيع تأمينه لذلك يجب ان ارى هاملي اليوم لاطلب منه مساندتي في البنك اذا حاولت مقاومتهم».

«وهل سيفعلون؟».

«يجب ان ننتظر ونرى».

«لا تبدو متفائلاً».

«لا ابدا! لا تقلقي فمستقبلي ليس معلقاً بهذا، ولن ادعك تعانين».

«ابي، انا لست امي، تذكر هذا! بماذا سيهمني المال دونك، استخدمه بكل الوسائل لمساعدتك، وسأحصل على عمل اذا ساءت الامور».

«يا ابنتي الصغيرة، ماذا تظنين انه يمكنك فعله؟».

«سأفكر بشيء ما، فأنا لست عاجزة لدي ثقافة جيدة ولست غبية، وربما سأتزوج في يوم من الايام».

«اتمنى ذلك فأريد ان اكون جَدّاً» ضحك.

«يجب ان اذهب الآن للاجتماع، لا تنسي، امك تتوقع منك الذهاب الى الفندق للعشاء الساعة السابعة».

«سأذهب، وسأكون لطيفة معها اعدك».

اغلق الباب وجلست هي لتأكل غذاءها الذي لم تكمله فقالت لها السيدة ابوت.

«هل انت مريضة، فلم تأكلي شيئاً لقد قلت لك انك ستصابين بمرض ما اذا ذهبت الى ذلك البلد الغريب، عندما ذهب زوجي الاخير ستانلي الى القاهرة، اصيب بمرض طوال الوقت، كان ذلك خلال الحرب بالطبع...».

«لقد احضرت لك شيئاً» قالت ماري فتوقفت السيدة آبوت عن الكلام بينما ناولتها ماري الهدية.

«لم يجب ان تزعجي نفسك، ما هذا؟».

«افتحيها وستري» قالت ماري.

احضرت لها ماري قطة عربية محنطة فقد كانت السيدة آبوت تحب القطط بجنون، فلديها قطتين سياميتين.

خرجت السيدة آبوت وهي تشكر ماري التي وقفت قرب النافذة تفكر بأبيها ماذا لو فقد السيطرة على الموقف، ماذا سيفعل بقية حياته، فقد كان العمل كل حياته، وفكرت بشركات اونيكس بمرارة، كيف انها تمتلك عدة شركات وتطمع في شركة ابيها، لاول مرة تشعر بالفراغ والعجز فهي لم تحصل ابداً على وظيفة تشغلها، وتمنت لو ان لديها عمل ما، يطرد عنها الخيالات التي تراودها دائماً عن ذلك العربي والصحراء والواحة، ربما الوقت كفيل بكل هذا.

ارتدت ملابسها لتستعد للعشاء، فارتدت ثوباً كالاطفال ازرق اللون، وارخت شعرها فبدت كفتاه مراهقة، وفكرت وهي تنظر الى صورتها في المرآة، ان هذا سيناسب امها تماماً اذ لا تستطيع ان تجعل نفسها تبدو اصغر من ذلك.

كانت امها تقطن في فندق فخم كبير، سألت ماري عنها في الاستعلامات، فقالوا لها انها في الصالة الكبيرة، رأتها على الفور لم تتغير ابداً، استدارت عند دخول ماري فقالت والكأس في يدها.

«عزيزتي لقد اتيت؟».

«لم تفقدي سحرك، كيف حالك يا كلير» قالت ماري.

فقد كانت امها تحب مناداتها هكذا.

«الم يخبرك جيمس؟» بدت كلير حزينة.

«انا آسفة يا كلير، تبدين رائعة بغض النظر عن الحزن....».

«تمنت ماري لو ان امها لا تأخذ كلامها بسخرية.

«شكراً لك يا عزيزتي، تبدين انت ايضاً جميلة، احب رؤيتك في ثوب مناسب لعمرك ماذا ستشربين؟».

«شيء بارد ومنعش» قالت ماري.

فطلبت لها كلير عصير الليموناضة، ثم ذهبوا لتناول العشاء فقررت ماري ان تأكل مثل كلير حتى تسعدها وترضي اباها.

«يجب ان تهتمي بجسدك، اخبريني عن اصدقائك الشبان».

فكرت ماري باصدقائها دون ان تنتبه لملامح وجهها، فتذكرت نيجل بابتسامته البليدة وشغفه بالسيارات ودانيال الذي يرقص كالفيل اما ستيفن فقد كان اقصر رجل عرفته في حياتها.

رأت كلير تعابير وجهها وضحكت.

«يا عزيزتي! اعرف تماماً شعورك مملين اليس كذلك؟».

«جداً» قالت ماري.

«يا صغيرتي، هل هناك احد منهم...؟».

فكرت ماري بخالد وعلى الفور عكس وجه امها فضولية مسلية.

«ارى ان هناك شخصاً من هو؟ هل هو مثير؟».

ضحكت ماري «جداً».

«انكليزي؟».

«لا».

«هل ما زلت ترينه؟».

هزت رأسها نفياً واخفضت عينيها.

«جدي؟».

«لا ادري، لكن...» خذلتها الكلمات في وصف مشاعرها.

«ارى انه كذلك، حسناً اذا اردت نصيحتي، والتي اعرف انك لا تريديها، لكني سأقولها على كل حال، اذهبي وراءه اذا اردتيه، هم يقولون ان الرجال صيادون لكن النساء هي التي تغوي».

ضحكت ماري بصوت عالي، فجذبت انتباه الموجودين فأنتبهت لنفسها، حيث رأت اباها يدخل مبتسماً لها، فردت له الابتسامة مسرورة لرؤيته، ثم انتقلت نظراتها الى رفقائه، فحصل شيء في قلبها شعرت بالالم يعتصره وبدا وكأن انفاسها تتوقف وخفقاتها تتسارع.

فما بدا ازلياً عندما التقت نظراتها بعيني خالد، الذي انحنى لها، بينما استدارت كلير بكرسيها لترى الى ماذا تحدق ماري.

«آه، انه جميس ومعه ستونر غراي، ماذا يفعل هؤلاء الاثنان سوياً اتساءل؟».

«من منهم ستونر غراي؟» بذلت ماري مجهوداً كبيراً لتسأل هذا السؤال.

«لا بد انك سمعت عن ستونر غراي فهو مالك اونيكس، امه هي حفيدة شيخ بترول، واباه كان السير رونالد غراي من حاشية الملك».

قالت كلير كل هذا الكلام قبل ان ينضموا اليهم بلحظات، ومدت يدها لستونر بعينين غامزتين.

«ستونر كيف حالك؟».

«كلير تبدين ساحرة، وكأنك في الخامسة والعشرين».

«اصمت، لا تذكر الاعمار، فأنا كبيرة كفاية ليكون لي ابنة ناضجة... ماري، هذا ستونر غراي، ستونر، ابنتي الصغيرة».

قبل يدها بعينين ساخرتين، فعلا الغضب وجهها.

فلقد ادعى انه خطفها من اجل فدية فقط ليجعلها تبدو كالحمقاء.

«ستونر مرح جداً، يجب ان تجعليه يقلد لك السياسيين، فهو مضحك حقاً».

«آه، كوميدي؟» قالت ماري بسخط.

ضحك ستونر، فبدت كلير محتارة بينما جيمس برنتون مندهشاً.

«احياناً انساق في مزحاتي» قال ستونر.

«ويمكن ان يكون هذا خطيراً» قالت ماري بعنف.

ابتسم بجفاف «هذا صحيح اعتقد انك رجعت لتوك من بلد امي آنسة برينتون فكيف وجدت الصحراء؟».

«رملية سيد غراي».

«والشعب؟» سألها في ذات النبرة.

«قابلت بعض الاشخاص المسلين لكن هناك شخص واحد بدا كريهاً».

«من هو آنسة برينتون؟» سأل محققاً.

«ليس بذي اهمية فقد احد اولئك الرجال السخفاء الذين يظنون انهم لا يقاوموا...».

الفصل الخامس

بدا جيمس برينتون مندهشاً من كل هذا.

«ماري؟ ماذا حصل؟ لم تذكري هذا الامر امامي ابداً؟».

«انه امر غير مهم يا ابي، لقد تخلصت منه دون عناء، انه من ذلك النوع البغيض الذي يظن نفسه مضحكاً».

«آمل ان تكوني قد صفعتيه آنسة برينتون فالرجال من ذلك النوع يجب ان يتلقن درساً. المشكلة ان هناك فتيات عديدات يذبن بين اذرعتهم» قالت ستونر غراي دون اي انفعال، وكأن كل كلامها لم يؤثر به ابداً.

نظر ابيها الى الرجلين الآخرين معرفاً بهم لابنته.

«هذان السيدان يعملان مع السيد غراي يا عزيزتي ستيفن برنت وهنري كار، ابنتي ماري...».

ابتسمت لهم وصافحتهم، ثم تابع ابيها الكلام.

«بما انكم قد انتهيتم من طعام العشاء هل تنضمون الينا

www.elromancia.com

لشرب فنجان من القهوة على طاولتنا».

رحبت كلير بالفكرة وانتقلوا الى طاولة اكبر تسعهم جميعاً.

«هل انت متأكد اننا لن تعيقكم، الستم هنا لتتحدثوا بالاعمال؟» سألت ماري ابيها على حدة.

«كلا، لقد انتهى كل شيء».

«ماذا تعني؟» نظرت اليه ماري بدهشة.

«اونيكس ستأخذ الشركة، هاملين اخبرني انني لا استطيع رفع رأس مال الشركة ليطابق عرضهم ولا يستطيع مساعدتي».

«آه يا ابي، حتى لو استعملت مالك الخاص؟».

هز رأسه «حتى لو بعت كل ما املك، وتمكنت من تدبير المال اللازم، لن استطيع متابعة العمل لسنوات».

نظرت اليه بتعاسة فها هي حياته تتدمر بليلة.

نظرت الى ستونر غراي وهو يجلس الى الطاولة فهو الذي فعل هذا بأبيها... وكأنه صقر من الصحراء انقض على ابيها ومزق حياته، فجأة نظر اليها فالتقت نظراتهما.

فقد كان من المستحيل كما فكرت ان يخفي عنه شيئاً فعقله سريع كالبرق، يومض ويشعل الاماكن المظلمة للافكار، فانه دائماً قادرة على قراءة ملامحها، لكنها صممت ان تتعلم كيفية السيطرة على ملامحها، حتى تتركه دون دلائل.

بدأت فرقة بالعزف، فبدأ بعض الاشخاص بالرقص، فوضع ستونر غاري منديله ووقف وقبل ان تعي ماري ما

يحصل، انحنى واوقفها على رجليها.

«هيا نرقص» قالت باقتضاب.

كان بامكانها الرفض لكنها لم تكن تريد فعل اي شيء الليلة يغضب اباها.

فاحتضنها بيديه الحارتين وبدءا بالرقص على انغام موسيقى البوب.

«من الافضل اخراجه قبل ان تنفجري» غمغم ببطء.

«ماذا؟» ادارت رأسها لتنظر اليه.

«انت تجلسين هناك منذ نصف ساعة مليئة بالغيظ، لديك وجه معبر كثيراً اتعلمين».

«وماذا توقعت؟ لقد لعبت خدعة حقيرة معي، جعلتني حمقاء...».

«كنت ضجرة، وأنا كذلك، ففكرت ان نحظى ببعض المرح سوياً».

«استطيع تصور فكرتك عن المرح» قالت وكأنها تصفعه.

حرك يده على ظهرها فتصلبت قائلة.

«توقف عن هذا».

«لا تزمجري في وجهي، ثم انك كنت تندبين حقيقة انك لم تري شيئاً من الحياة العربية الرومنطقية، يجب ان تكوني ممتنة».

«آه، شكراً لك» قالت متهكمة.

«اخفتني حتى الموت وجعلتني اركب الخيل مسافة اميال في الصحراء، وابقيتني مستيقظة كل الليل واخبرتني

اكاذيب سخيفة. . . وتتوقع مني ان اكون ممتنة».

ضحك برقة «هيا اعترفي لقد حظيت بافضل اوقات حياتك، الم يكن ذلك شاعرياً؟ الصحراء ضوء القمر النار؟».

«ذلك الثوب الذي كان يلف رأسي ذا رائحة مخيفة، وكادت ان تلدغني افعى سامة، واركب الخيل طوال الليل حتى انقصم ظهري. . . آه، انه بالفعل شاعري، كأخذ حمام في مكان خراف».

رقصت عينيه بتسلية «عبقرية» تمتم ببطء.

«لقد اخذت ثأرك اليس كذلك؟ لقد عاقبتني امامهم منذ قليل ولم استطع فعل شيء» قال محاولاً اغاظتها.

«لا تكذب! لم تهتم ابداً لما قلت» قالت بغضب.

ضحك ثانية «بدوت شكوكية عندما رأيتني! تماماً مثل تعابيرك عندما رأيت تلك الافعى في الصحراء».

«الافاعي دائماً تجعلني ابدو هكذا، ماذا كنت تفعل في الفندق؟ لماذا كنت تنسل في تلك الساعة من الليل؟».

«كنت في طريقي للنوم» اعترف.

«كنت تقيم في الفندق؟ لم ارك ابداً» كانت مندهشة.

«لم اكن ضيفاً فأنا املكه».

«كان يجب ان اعلم ذلك».

«انا املك العديد من الفنادق، ازورهم مرة او مرتين وقد حدث ان تكون تلك الليلة، ليلة زيارتي».

«لماذا كان يجب ان تكون خلال وجودي فيه، لماذا ليس ليلة اخرى من السنة؟».

«انها ارادة الله» قال بعبث.

«لن اصفها هكذا ابداً، لماذا كنت ترتدي اللباس العربي؟».

«انا نصف عربي» قال ببساطة.

«لما لا؟ عندما ازور بلد امي ارتدي دائماً الزي العربي الا تحبينه؟».

«انه يناسبك» قالت لاهثة.

ابتسم ستونر غراي، وللحظات رقصوا في صمت ثم تذكرت ماري فنظرت اليه.

«ستقتل ابي اذا استمريت في مزابدتك، هل تعلم هذا؟».

«انت تبالغين، العمل هو العمل».

«ليس بالنسبة لابي! فتلك الشركة هي حياته».

«اذاً هو غبي، فأنت لديه».

«لكنه دائماً كان يضع الشركة في المرتبة الاولى».

«لا يجب ان يضع اي رجل عمله قبل عائلته، فالاشخاص اهم من الاشياء».

«الجميع سواسية، ففقدان الشركة سيقتله».

«لا آمل ذلك».

«بامكانك ايقاف الصفقة».

ساد الصمت، فنظرت ماري اليه لتجده ينظر اليها.

«الا يمكنك ايقاف الصفقة؟» اعادت سؤالها برجاء.

«هل تسأليني فعل هذا من اجلك» سأل بصوت منخفض.

«لا بالطبع لا، بل من اجل ابي» احمر وجهها.

«امتلكت اونيكس العديد من الشركات بهذه الطريقة، ولم يمت احد من اصحابها».

«ابي مختلف... ليس لديه اي شيء بالمقابل» قالت بيأس.

توقفت الموسيقى فعادوا الى اماكنهم، فوجدوا ان هناك جدالاً يدور بين الرجال، بينما تغير لون جيمس برينتون، وعيناه حارتان وقلقتان، وصوته مرتفع جداً.

«ستوقف العديد من العمال عن اعمالهم اذا اقفلت مصنع بريدلي، الا تهتم لذلك؟».

«انه امر غير اقتصادي مراعاة الزرع» قال هنري كار بوحشية.

«ثم اننا لا نحتاجه».

«انه افلاس للشركات...» قال جيمس برينتون ووقع على الارض ونبضاته تتسارع، وانفاسه تتقطع مما ارعب ماري.

«جيمس» صرخت كلير بجانبه، وشحب لونها.

صدر عنه صوت اختناق، والاشخاص على الطاولة القريبة منهم صرخوا بينما هرع النادلون ووقف البقية ليحدقوا، ركضت ماري وركعت قرب ابيها ودموع ساخنة في عينيها.

سمعت صوت ستونر خلفها يقول بنبرة باردة.

«احضروا سيارة اسعاف الى هنا».

نظرت اليه بوجه مرتجف بالالم شاحب.

«نت قتلته» همست بصوت اجش.

www.elromancia.com

الفصل السادس

نظر بغضب الى عينيها، ودفعها من طريقه، وانحنى ثم حمل ابيها، مخترقاً الحشود متوجهاً نحو رئيس الخدم ليسأله:

«هل هناك أي غرفة يمكننا استعمالها؟».

ثم توجهوا الى غرفة في الطابق الأرضي، فوضعه ستونر بلطف على السرير، بينما وقفت كلير، تحدق بالجسد الهامد، وبالكاد تستطيع التقاط انفاسها.

وصل الطبيب الى الغرفة ناظراً الى الجميع:

«ماذا حصل؟».

سأل وهو يبدأ بفحص جيمس، ثم قطع تفسير ستونر المختصر بإيماءة.

«حسناً، الجميع خارج الغرفة الآن، واين تلك الاسعاف؟».

في اللحظة التالية وصل رجال الاسعاف، فحملوا

جيمس على نقالة، بعدما وضعوا قناع الأوكسجين على وجهه، بينما كان الطبيب يمشي بجانبه.

«يجب ان اذهب معه». صرخت ماري مسرعة خلفهم. امسك ستونر ذراعها فنظرت نحوه.

«سأوصلك الى المستشفى» قال لها بلطف.

اومأت، بصمت. ثم هرعت امامه، لحق بها ستونر بسرعة حتى امسك ذراعها ثانية. فنظرت اليه بغضب وانفعال.

«لا تستطيعين الذهاب بسيارة الاسعاف» قال ستونر.

«دعني! من تظن نفسك؟» حررت نفسها منه.

امسكها ثانية بقوة، موجهاً لها نظرات حادة.

«لا تستطيعين الذهاب بسيارة الاسعاف» كرر قوله.

«من قال انني لا استطيع؟ انت؟» كان صوتها مختنقاً.

«أجل» قال.

«لدي الحق بأن اكون معه. فهو أبي» فَقَدَ صوتها بعض التأكيد.

«سأوصلك انت وامك في سيارتي الى المستشفى».

«لا تزعج نفسك، سأذهب بسيارة اجرة».

تجاهل ردها له، واستدار نحو كلير وهو ممسكاً بذراع ماري.

«سيارتي في الموقف. هل تريدين جلب معطفك من غرفتك؟».

هزت رأسها بصمت. «لنذهب الآن بسرعة» قالت كلير.

«انتبهي لأمك» قال ستونر موجهاً كلامه لماري.

نظرت ماري الى كلير بعينين انتقاديتين. فأمها لم تظهر لأبيها اي نوع من انواع الحنان منذ سنوات، وها هو ستونر الآن يدعي ان جيمس بريتون مهماً جداً بالنسبة لكلير اكثر من ماري. ثم ادركت ان ستونر ربما لا يعلم بطلاق والديها. فنظرت اليه بحدة.

«انهما مطلقان منذ عشر سنين، وأبي لا يعني شيئاً لها» تمتمت بنبرة جليدية.

«اعلم بشأن الطلاق» قال ببرود. «لكن انظري الى امك جيداً. انها في حالة صدمة اكثر منك. لا اعرف كيف هو شعورها بالنسبة لأبيك، لكن ما اعلمه الآن انها بحاجة للمساعدة».

حدقت ماري بأمها التي اتكأت على الجدار، وعينيها مسمرتان في الأرض، وشفتاها ترتجف. فاحمر وجهها خجلاً.

«اترين» قال ستونر غراي.

«اجل رأيت» في تلك اللحظة كرهته ماري، لأنه ادرك شيئاً كانت هي عمياء عنه، فتحركت نحو امها ووضعت ذراعها بلطف وراءها.

«تعالي يا كلير، سنذهب الى المستشفى» كان صوتها لطيفاً وهي تحث امها على المشي في الرواق باتجاه موقف السيارات. نظرت اليها كلير بعينين مليئتين بالألم.

«سيموت» همست.

«جيمس سيموت، ماذا سأفعل؟».

حضنت ماري امها وقالت:

«لا انه قوي لن يموت» هزت كلير رأسها.

«سمعتك تقولين انني قتلته... قلت هذا عندما انهار..».

«لست انت يا كلير، لم اكن اعنيك..» قال ماري.

«انها غلطتي» همست كلير. «كل هذه السنين. انها غلطتي...».

«لا» ترددت ماري ثم قالت: «ابي يحبك، هو يحبك!».

رفعت كلير رأسها حين سمعت ذلك وتوسعت حدقتا عيناها الزرقاوين.

«هل تظنين انني لا اعلم ذلك؟» حمل صوتها الكثير من المرارة والألم.

صمتت ماري وهم يصعدون الى سيارة ستونر الليموزين. مرت الدقائق ببطء شديد حتى وصلوا الى المستشفى حيث جلسوا في رواق ابيض بمواجهة باب يتأرجح. ثم ذهب ستونر واحضر لهم قهوة في فناجين بلاستيكية.

بينما الترقب والحذر يسود المكان، حتى ظهر طبيب متعب يرتدي روبه الأبيض، فنهض ستونر وتوجه نحوه، متكلماً معه بصوت منخفض. رفعت كلير عينيها بألم. فنظر الطبيب اليها مبتسماً وقال:

«السيد بريتون يستريح الآن. اخشى انه لا ضرورة لانتظاركم اكثر فلن يستطيع احد زيارته الليلة، ولكن أؤكد لكم، زوال الخطر عنه، فقد حصلت له ازمة قلبية حادة،

وانت تعرفين سيدة برينتون ماذا يعني هذا؟».

«هل ما زال. . .» انقطع صوت كلير بضعف ووهن.

«كل ما استطيع قوله، انه ما زال متماسكاً» قال الطبيب.

«انها ارادة الحياة» قالت ماري بحزن ناظرة الى ستونر.

«لكن هل يملك هذه الإرادة؟».

امسك ستونر ذراع الطبيب «الا يمكن ان تراه ابنته للحظة؟ مجرد نظرة».

فوجيء الطبيب من سؤاله. ونظر الى كلير التي كانت تحدق في الأرض.

«لا، أمي ستدخل. . . اذا كان باستطاعة احد منح ارادة الحياة لأبي فهي امي». قالت ماري بسرعة.

رفعت كلير رأسها. حدقت بماري وشفتاها ترتجفان «ماري. . .».

«ادخلي وقفي قرب سريره يا أمي ورددي اسمه فالشركة ليست مهمة، بل انت» قالت ماري بلطف.

تبادل ستونر النظرات مع الطبيب، ثم اومأ ستونر برأسه موافقاً.

تردد الطبيب قليلاً ثم قال لكلير:

«هل ستأتين معي، سيدة برينتون؟».

تبعته كلير عبر ذلك الباب المتأرجح.

وحدها ماري مع ستونر، التي جلست ثانية ووضعت يداها في حضنها، فبعد لحظات أتى وجلس بجانبها.

«ذلك كان شجاعة منك». قال بهدوء.

«احقاً ما تقول» كان صوتها متوحشاً.

«كنت افكر فقط بأبي. فأنا اعلم انه يحبها. فهي ربما ستعيده للحياة، انها فرصة تستحق المجازفة».

وضع يده على يديها، فدفعتها بعيداً.

«لا تلمسني! لقد فعلت ما فيه الكفاية ليوم واحد. لماذا تبقى هنا؟ لما لا ترحل؟ لا استطيع تحمل النظر اليك!».

«سأعيدك الى البيت عندما تأتي امك» قال بصوت عادي.

«بامكاننا استدعاء سائقنا، شكراً» قالت.

«سأوصلكم انا»، كرر بانفعال.

صمتت ماري، عندما رأت كلير خارجة من الغرفة، وقد اصبحت اقل توتراً، وعيناها مغرورقتان بالدموع.

«شكراً لك يا عزيزي»، قالت كلير بصوت مخنوق.

فهرعت ماري نحوها تحتضنها، «هل كان ذلك. . . مريعاً؟».

«مروعاً» همست كلير. «لكن ليس سيئاً بقدر ما تصورت. لم يكن واعياً، لكني لمست يده، فتحركت اصابعه. . . يا ماري».

خرج الدكتور راسماً ابتسامة عل وجهه المتعب.

«اعتقد ان هناك شيئاً غيره. فنبضه يتحسن».

«متى نستطيع المجيء غداً؟» سألت كلير بغير صبر.

«اتصلي بنا في الصباح وسنقرر حينها، فالأمور تأخذ وقتها، فلن نكون متأكدين لفترة من الوقت» قال الدكتور.

شكروا الدكتور على تطمينه لهم وذهبوا مع ستونر الذي اوصلهم الى البيت حيث تقيم ماري، فكلير لم تستطع

رفض اقتراح ماري في المبيت معها.

استقبلتهم السيدة آبوت التي احمرت عيناها من النواح.

«ماذا حصل، احقاً ما حدث؟» سألت «هل مات؟».

«بالطبع لا، من اخبرك هذا؟» انفجرت ماري بوجهها غاضبة.

«فقد تناولت الصحف الأخبار منذ ساعات. فقالوا انه حصلت له ازمة قلبية قاتلة وقت العشاء في الفندق...».

«أزمة قلبية، لكن ليست قاتلة» قال ستونر بهدوء.

«حمداً لله» تمتمت السيدة آبوت. «ادخلوا، سأحضر لكم بعض القهوة».

«ربما امي ستفضل الكاكاو» قالت ماري بسرعة. وطوقت كلير بذراعيها، بعناية «ستنام أمي في غرفة ابي الليلة».

احمر وجه السيدة آبوت غضباً. «لا اظن ان السيد برينتون سيرحب بذلك».

«شكراً لك سيدة آبوت» قالت ماري بغضب.

«سآخذ امي الى الغرفة بنفسي». ومشت مع كلير عبر الرواق الى الغرفة، بينما السيدة آبوت تراقبهما بغضب ظاهر.

نظرت كلير الى أنحاء الغرفة ثم ارتعشت حين رأت لها صورة كبيرة موضوعة قرب السرير. وماري اندهشت ايضاً لوجودها. فهي لم تدخل كثيراً الى غرفة أبيها لكنها لم تكن تشك بوجود صورة لكلير فيها.

«السيدة آبوت على حق، لا يجب ان اكون هنا سأنام

في الغرفة الاضافية» قالت كلير بصوت مختنق.

«انا اعلم ان ابي يريدك ان تنامي هنا، اعتقد انه أمر سخيف لكن لدي الشعور بأن هذا سيساعده». قالت بتأكيد شديد حدقت كلير بها قائلة:

«كيف ذلك، لا استطيع ان افهمك يا عزيزتي».

«الست متأكدة انا ايضاً» قالت بابتسامة هزيلة.

«لكن ربما وجودك في هذه الغرفة سيمنحك اتصالاً ذهنياً معه... الم تقولي ان اصابعه تحركت عندما لمسته، مع انه لم يكن واعياً؟ كيف له ان يعلم انك هناك دون الارتباط الذهني؟».

«هل تؤمنين بالتخاطر؟» سألت كلير بجدية.

«لم افكر به قبلاً، لكن لا ارى سبباً يمنعني. اي شيء يمكن ان يساعد ابي يستحق التجربة. لدي هذا الاحساس... شعور مبهم... انه سيحب وجودك هنا».

تنهدت كلير «اذاً، سابقى فأنت تعرفينه اكثر يا عزيزتي».

«آه لا...» حدقت ماري بها.

«لا تقولي ذلك! انا اعرف فقط ناحية منه انه ابي. فأنا لا اعرفه مثلك. فقد كنت زوجته لسنين».

«تعنين اننا عشنا سوياً لسنوات، فقد تزوجنا لسنة واحد ثم بعد ولادتك اصبحت كأي امرأة في البيت».

«كلير، ضعي الماضي خلفك لفترة. استلقي، حاولي ان تنامي. سأحضر لك الكاكاو الى هنا» قالت ماري وهي توضب السرير لكلير.

«لا اريد الكاكاو. فلدي حبوبي في الحقيبة. تصبحين على خير يا ماري. اذاً... اذا حصل اي شيء ناديني؟».

«اعدك» قالت ماري وطبعت قبلة على خدها.

«تصبحين على خير كلير» اغلقت ماري الباب وراءها، وتوجهت الى المطبخ. لتفتعل معركة مع السيدة آبوت. لكنها وجدت ستونر يقف هناك وحيداً يرتشف فنجان الكاكاو.

«اين السيدة آبوت؟» سألت.

«ارسلتها الى النوم» قال وهو ينظر اليها من فوق كتفه.

«لم يكن لديها الحق في قول ما قالته الى أمي» قالت ماري.

«انت قابلة لأن يتنبأ بك» قال وهو يصب الكاكاو في فناجين.

«ماذا تعني؟» حدقت به في ارتياب، شاعرة بانتقاده.

«فأنت تنحرفين في تفكيرك دائماً عن الخط اللازم في كل شيء» قال وهو يتكيء على الحائط يتفحصها بعينيه السوداوين، المليئتين بالسخرية.

«ففي الأول غضبت مني، ثم من امك انت متقلبة عاطفياً، يجب تعليمك كيفية التجاوب مع كل موقف. فأول فكرة غاضبة تأتي الى ذهنك، تسيطر عليك، حتى تظهريها».

«انا آسفة، فأنا لست ناضجة. ربما من الأفضل لك ان ترحل الآن. انا متأكدة انك لا تريد ان تضيع وقتاً اكثر على شخص سخيف وطفولي الى هذا الحد» قالت بحدة.

ضحك ساخراً منها، «اترين؟ ها انت تعودين لنفس التصرف لأني اخبرتك الحقيقة. يا طفلتي العزيزة فقد كنت مدللة ومنبوذة في نفس الوقت، فقد اعطاك اباك اي شيء تطلبينه، دون ان يعطيك شيء شخصي او بعض وقته لك بالذات. وامك هجرتك. لكن كل ذلك مضى واصبحت الآن راشدة. فحاولي التصرف على هذا الأساس. فلقد كنت الليلة تتحركين الى الأمام والوراء كرقاص الساعة. فعندما اشرت لك ان امك بحاجة للمساعدة، اصبحت لطيفة ومحبة لها، حتى انك سخطت بسبب عدم ترحيب السيدة آبوت نحوها».

«ليس لها الحق في قول أشياء كهذه!» انفجرت ماري.

«اوافقك الرأي لكن الا ترين ان السيدة آبوت تحب اباك كثيراً حتى انها كانت متأثرة لأزمته القلبية كأمك تماماً. واعتقد ان ردة فعلك تجاه كلير قد فاجأتها. فأنت لم تكوني لطيفة حيال امك اليس كذلك؟».

احمر وجه ماري. «حسناً فهمت ما تعنيه لم اكن عادلة مع السيدة آبوت سأذهب واعتذر لها...».

امسك ستونر ذراعها، ناظراً اليها، «لا اتركي هذا للصباح، لقد تكلمت معها».

«آه، ماذا؟» قالت بسخط ونقمة. فمن يظن نفسه ليتدخل ويأمر على هواه. «وماذا قلت لها؟».

«اخبرتها انك غاضبة جداً لتعي ماذا تقولين او تفعلين واعتذرت لها بالنيابة عنك».

«هذا ليس من شأنك لتفعله!» لمعت عيناه الزرقاوان

بغضب.

«اظن انه من الأفضل لك ان ترحل» قالت.

«دون ان تجربي الكاكاو الذي صنعته» ناولها الفنجان.

فشربا بصمت، ثم وضع فنجانه ونظر اليها ملياً.

«هل تودين ان ابقى هنا الليلة؟ بامكاني النوم على الكنبة؟».

«اظن، باستطاعتنا تدبر امرنا دونك، سيد غراي» قالت ببرود. «فهذا ما فعلناه لسنوات».

«بإمكاننا دائماً المضي دون امور قد اعتدنا عليها، انها عادة، تجعلنا دائماً معتمدين من قبل الأشخاص» قال بلطف.

«لن اعتمد عليك، سيد غراي» قالت وكأنها تصفعه.

«ليس بعد، ربما» قال برقة جعلت نبضات قلبها تتسارع، وهو يتحرك نحوها، فرفعت ذقنها، مصممة على ان لا تظهر له، كم يؤثر فيها وجوده.

نظر اليها بوضوح «تبدين متعبة، كفتاة صغيرة، هل انت متأكدة انك لا تريدين ان احملك الى السرير؟».

«لا تلمسني!» قالت مذعورة، لفكرة حملها ثانية، بتلك الذراعين القويتين.

«مما انت خائفة؟ مني؟ او من نفسك» ابتسم بسخرية.

«ولماذا اخاف من نفسي؟» ردت بسرعة.

«لأنك خفت من تجاويك معي» قال بتهكم.

«يجب ان تكون طبياً نفسياً وليس زعيماً قوياً» قالت بتهكم.

«العمل يتطلب الكثير من الحرب النفسية، كالحرب تماماً... فكيف يمكنك هزم عدوك اذا لم تفهميه جيداً؟».

«شكراً للتحذير!».

«آه، وهل نحن اعداء؟» مغيظاً لها.

حميمية النبرة اشعرتها بالإختناق للحظة ثم قالت ببساطة، «السنا كذلك؟».

«ليس من جهتي» قال برقة.

«لكن هناك من جهتي» قالت بصراحة.

«لقد قمت بحيلة علي، ولن انسى ذلك، تماماً كما لن انسى الأزمة القلبية التي تسببت له بها شركة اونيكس».

«اباك كان يعاني من متاعب قلبية لعدة سنوات» قال بهدوء.

«ماذا؟ من قال لك هذا؟».

«عندما اتعامل مع شخص اكون قد درست عنه كل اوضاعه الشخصية، والعائلية، لا اعتمد ابداً على الغريزة او الأحاسيس».

«ابداً؟» سألت وهي تتذكر قبلته لها قرب مخيم النار في الواحة.

«تقريباً ابداً» تحرك نحوها اكثر، فشعرت ماري باضطراب.

«بغض النظر عن ما قلت. فأنا الومك على مرض ابي. فمزايدتك التي افتعلت له الأزمة القلبية. اذا مات....».

توقفت عن الكلام، اختنق صوتها، واندفعت الدموع من

عينيها.

نظرت اليه، ثم هرعت الى غرفتها واقفلت الباب وراءها. بينما هي متكئة على الباب، تلتقط انفاسها، سمعت صوت اغلاق الباب الأمامي بهدوء، لقد رحل.

الفصل السابع

رأت ماري بوضوح ان وجود كلير جانب ابيها، اعطاه دافعاً اكبر للتحسن، والأيام الهادئة والطويلة التي قضاها في سريره اعطته وقتاً للتفكير ولاستيعاب الصدمة.

ولقد انتقلت كلير الآن للسكن مع ماري. وقد تصرفت السيدة آبوت نحوها بشيء من البرود، لاخفاء مشاعرها الحقيقية. وقد ادعت ماري عدم معرفة حقيقة مشاعر السيدة آبوت، لأنها نسبتها الى الغيرة، فقد ادارت السيدة آبوت المنزل لعدة سنوات. وها هي الآن تشعر بالخطر من وجود كلير في المنزل ثانية.

لم تظهر اي اشارة وجود لستونر غراي منذ انهيار جيمس. لكنها رأت ماري مرة باقة ورد قرب سرير ابيها مرفقة ببطاقة من ستونر.

بعد عدة اسابيع من انهيار جيمس عاد الى المنزل ليتلقى عناية خاصة في البيت. فجلس في غرفة الجلوس،

www.elromancia.com

يحدق حوله بطريقة غريبة.

«في وقت من الأوقات ظننت انني لن ارى هذه الغرفة ثانية، والآن ادرك انني لم احب ابداً هذه الشقة، لقد مللت من لندن» قال جيمس برينتون.

بدت ماري مندهشة، «مللت من لندن؟».

ابتسمت كلير لجيمس: «اجل» قالت لابنتها.

«كنا نفكر بالذهاب إلى الريف. وبينما جيمس في فترة نقاهة، سأبحث انا عن منزل، هل ستساعديني يا ماري؟».

«بالطبع، اين تفكرين بابتياع منزل؟».

«سوسيكس» قالت كلير.

«قرب البحر، سيكون باستطاعتنا التنزه على الشاطىء كل يوم، ونشتري كلباً...».

«نشتري كلباً؟» ضحكت ماري ونظرت الى ابيها غير مصدقة.

«تتنزه انت والكلب قرب البحر يا أبي! هل انت جاد؟».

ضحك جيمس بلا مبالاة. «جاد تماماً يا ماري. لقد قضيت معظم ايام حياتي طالباً النجاح، اجمع المال، ابني الشركة، وفجأة كل شيء اختفى. الأعمال، المال... كل شيء ذهب! آه، انا غني بما فيه الكفاية الآن، استطيع فعل ما يحلو لي، انا وكلير تكلمنا بذلك. سنستقر سوياً في بيت قرب البحر لننعم ببعض الهدوء. بالطبع نريدك ان تأتي معنا يا عزيزتي. لكن مهما فكرت، فهذا ما قررناه. وهذا ما سنفعله».

ابتسمت ماري لهِ ثم لأمها. «اريد فقط ان تكونا

سعداء، انا سعيدة. اذا كان هذا ما اردتموه» ترددت، ثم سألت:

«وماذا عن الشركة؟».

«لتأخذها اونيكس لن اهتم بعد الآن، لقد مللت كل هذا، لكنني لم اعي ذلك الا عندما اقتربت من الموت. لقد عرفت ان الأشياء لا تهم. بل ما يهم هو الانسان».

«انت على حق يا أبي، وانا سعيدة انك وكلير سوياً».

نظر جيمس الى كلير: «ماري اود منك ان تنادي كلير، باسمها الحقيقي».

استغربت لفترة «اسمها الحقيقي؟».

«انها امك، ناديها بذلك» قال بلطف.

نظرت ماري الى كلير بتساؤل: «بالطبع اذا ارادت ذلك، لكن...».

احمر وجه كلير وابتسمت «اعلم انني في يوم من الأيام كرهت ذلك، لكن احب ان تنادي امي من جديد، فالإنسان لا يعرف قيمة الشيء الا عندما يفقده».

«لم تفقدي اياً منا، سنعود لنبقى عائلة من جديد» قال جيمس بحزم.

قهقهت ماري «يجب ان تتزوجا يا أبي!».

«لقد نسيت الناحية القانونية، اعتقد انه يجب ذلك، فأنا لم اقبل منذ البداية الطلاق».

نظرت كلير اليه بتوق «آه، جيمس!».

انسلت ماري من الغرفة لتتركهما يناقشان الموضوع.

«انها كلير. كلير سبستيان! هل تعنين انك وأوتور

تفكران بالاستقرار في انكلترا؟ يا عزيزتي ستكرهين هذا المكان، فأنت لم تخلقي للحياة الريفية».

«أوتور مات، يا جيس» قالت ببساطة، «مات منذ ثلاثة اشهر، فانا سأتزوج ثانية».

رفعت الفنانة قبعتها القش الى الوراء تعبيراً عن دهشتها.

«وهل اعرف الشخص الجديد؟».

«لا اعتقد ذلك» قالت كلير بخفة. «فقد كان زوجي الأول، وسنعيد زواجنا».

حدقت الفنانة بها في صمت مأخوذ ثم قالت بلا مبالاة.

«حسناً، اتمنى ان تعجبه الحياة الريفية، لأنه لا يوجد الشيء الكثير هنا لفعله سوى الرسم او اصطياد الأسماك. فقد ناسبني الأمر لسنوات، لكن يجب ان اذهب الآن الى الهند لأرسم بعض اللوحات لكتاب عن الحياة الهندية، واعتقد ان العمل سيأخذ حوالي السنتين مني، لذلك علي ان ابيع وفي كل الأحوال لقد اكتفيت من الحياة هنا».

«يبدو الأمر رائعاً» قالت كلير، «هل تريني المكان هنا يا جيس؟».

«بالطبع، ادخلا لنشرب القهوة».

عرفتها كلير بماري وتصافحا بابتسامة ودية، ودخلوا الى البيت وذهبوا اولاً الى المطبخ الذي كان كل شيء فيه حديث ونظيف.

«هذه هي الغرفة الوحيدة التي انفقت عليها» قالت جيس «اما الغرف الباقية فكانت مناسبة جداً، هل ستشترينه يا

كلير؟».

«اجل، وقد ادركت ذلك منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليه. على الرغم من ان داخله بحاجة لبعض التنظيم والتجهيز الا انه بحد ذاته جميل جداً. وجيمس سيحبه»، قالت كلير.

«جيمس؟ أين هو؟ في لندن؟».

«لقد كان مريضاً» قالت كلير «لهذا نريد بيتاً هادئاً لنعيش فيه، جيمس بحاجة للراحة».

«ماذا عن الطابق العلوي؟» سأل الوكيل، «هل نلقي عليه نظرة؟».

«بالطبع» قالت كلير، وتوجهت نحو السلالم.

«ساعد بعض القهوة» قالت جيس كونتيغهام. ابتسمت لماري وسألتها «اتودين مساعدتي؟».

تبعتها ماري الى المطبخ وساعدتها باحضار الفناجين.

«كيف تشعرين بالنسبة للحياة الريفية؟» سألتها جيس.

«لست متأكدة، كنت افكر بالحصول على عمل. فلم اعمل في حياتي، لكن اظن انه حان الوقت لذلك. لكن المشكلة، ليس لدي اي خبرة بالرغم من ثقافتي، ربما سأتعلم الطباعة على الآلة الكاتبة والاختزال». قالت ماري.

استدارت جيس لتتفحصها ملياً ثم سألتها: «هل تحبين الأطفال؟».

«اعتقد هذا. لكن لا استطيع التعليم لا اعرف كيف» قالت ماري.

هزت جيس رأسها «لا، انا لا ابحث عن معلمة بل عن شخص يعني بجيريمي عندما اعمل».

«جيريمي؟» تساءلت ماري.

«ابني الصغير، عمره سنتين ونصف، صغير جداً لأرسله الى المدرسة، لكنه نشيط جداً، فلا استطيع تركه برعاية أمي وعمرها سبعون سنة. كما ترين، فلقد اخطأت بحملي قبل شهور قليلة من وفاة زوجي، فقد اراد دائماً الحصول على طفل، فوجدت نفسي وحيدة مجبرة على تربيته، لم يكن الأمر صعباً جداً في الريف. فقد كان من السهل الرسم وهو نائم. لكنه عندما بدأ يكبر اصبح الأمر صعباً، فعرضت عليّ امرأة من القرية رعايته لكن ما حصل الآن، انه يجب ان اذهب الى الهند ولا استطيع تركه هنا، ففكرت ان اجد شخصاً من هنا، ليعتني به فإذا اخذت بعين الأعتبار الفكرة، اكون ممتنة جداً لك».

حدقت ماري بها بدهشة: «تريدين مني ان اعتني بابنك عندما تكونين في الهند؟».

أومأت جيس. «بإمكانك مشاركتنا المنزل، فهم سيقدمون لي منزلاً، وبالطبع سأدفع لك».

فجأة شعرت ماري بالإثارة، فهي لم تذهب ابداً الى الهند، وستحب رؤيتها والعيش فيها لفترة.

ثم قالت بحذر «لكن ليس لدي خبرة، كما تعرفين».

«ولا انا» قالت جيس «فلم اكن اعرف شيئاً عن تربية الأطفال عندما انجبته، لكن باستطاعتك تدبر الأمر، كل ما عليك فعله هو ابقاءه مشغولاً طوال اليوم، اما سهراتك فهي

لك، ولن تقومي بأي اعمال منزلية، فهم وعدوني بايجاد شخص لكل هذا».

«هم؟» سألت ماري بحشرية.

ضحكت جيس. «انا آسفة. فقد نسيت انك لا تعرفين انا ذاهبة الى هناك بناءً على دعوة من الملك جدبور فقد افتتح سهولاً للحياة البرية ويريد مني رسمها لكتاب يود نشره، فهو رجل طموح جداً».

«وأنت ستعيشين هناك؟» احست ماري بخطورة هذا.

«لا، سيكون لدي منزل في لاهلي، لكن هناك منزل قرب النهر، بإمكاني استعماله لرسوماتي». ابتسمت لماري، «اذاً، ما رأيك؟».

اخذت ماري نفساً عميقاً، «سآتي» قالت.

حدقت جيس بها، بمرح «انت تأخذين قرارات مفاجئة كأمك!».

«لما لا؟» قالت ماري بخفة «انا بحاجة للعمل وأؤمن بالقدر. فقد عرضت علي، ما كنت ابحث عنه».

«من الأفضل ان تناقشي الأمر مع والديك قبل اعطائي الجواب النهائي» حذرتها جيس.

«سأفعل» وعدته ماري.

نزلت كلير من الطابق العلوي، فشربوا القهوة واتموا الصفقة، فتغير مالكي منزل توم تيت.

في اليوم التالي، اخبرت كلير جيمس بالتفاصيل في غرفته، فاستمعت ماري بصبر، ليأتي دورها في الكلام، لكن عندما اخبرتهم، صُعِقَت كلير «لكن لا يمكنك ترك

المنزل، فقط عندما. . .».

راقب جيمس ابنته بحذر، «لماذا تريدين الرحيل يا ابنتي؟».

«بسببي» انفجرت كلير بصوت مخنوق.

«لا»، اكدت ماري وهي تبتسم لها، «لقد قررت الحصول على عمل، فقد تعبت من الراحة، لابد ان اعمل، فعرضت جيس عليّ فرصة فعل شيء مفيد، فرصة تعلم شيئاً عن نفسي، عن العالم. . .».

«لكن نريدك معنا» قالت كلير وهي ترتعد، قال جيمس برقة:

«الا اكفيك انا يا كلير؟».

نظرت اليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين برقة «بالطبع!».

اذاً دعي ماري تذهب، فهي على حق، انها بحاجة لاكتشاف الحياة. فلقد قمت بلفّها وحمايتها، وستكون انانية منا اذا حاولنا منعها، فهناك عالم كبير في الخارج ينتظرها، فحياتها تبدأ الآن».

تنهدت كلير: «حسناً يا جيمس، اعتقد انك على حق».

«سيكون لدي دائماً منزل تـوم تيت لأعود اليه» قالت ماري بلطف.

ابتسمت كلير لها «أجل عديني انك ستفعلين، اذا احتجت لأي شيء».

«سأعود» وعدت ماري.

«متى ستغادر جيس» سألت كلير..

«الشهر القادم» قالت ماري، وخرجت من الغرفة وهي

مليئة بالإثارة، فهذه المرة لن تعيش في فندق فخم مكيّف، بل ستعيش مع الناس العاديين، تشاركهم حياتهم اليومية، عليها الحصول على بعض الكتب عن مملكة جدبور، فهي بالكاد سمعت عنها.

بعد عدة أيام استغرقت في قراءة كومة من الكتب لتتعلم عن جدبور تلك المملكة القديمة في القارة الهندية الشمالية، تحكمها سلالة ملوك تنحدر من مخلوق بربري يدعى جاي. واللغة التي يتحادثون بها محلية، ويستعملون ايضاً الانكليزية.

كانت مستلقية على السجادة تنظر الى الصور الملونة لجدبور عندما رن جرس الباب، فقامت وعندما فتحت الباب، حدقت بذهول.

«ستونر! ماذا تفعل هنا؟».

«اتيت لأراك» قال ببرود، محدقاً بها، دون ان يبتسم.

«آه، لم اتوقع رؤيتك ثانية».

«هذا واضح جداً، الن تدعيني للدخول؟» قال بجفاف.

«آه، تفضل. . .» تراجعت الى الوراء.

دخل فرأى الكتب المنشورة على السجادة، فانحنى والتقط كتاباً منهم.

«لا تقولي لي، انك تخططين لقضاء عطلة في الهند الآن؟ ما زلت تطاردين الحلم الرومانسي؟».

وضعت الكتب على الطاولة وواجهته بجرأة.

«لا، انا ذاهبة الى هناك للعمل».

وقف مذهولاً، يحدق بها، متجهماً.

«عمل؟ انت؟ ماذا تقصدين بذلك؟».

«لقد حصلت على عمل في جدبور» قالت بغير اهتمام، فقد جرحت كبرياءها تلك النظرات المتشككة.

«انت لم تعملي اي شيء في حياتك؟» قال بلؤم الى حد المها.

«ماذا يمكنك فعله؟ من هو الأحمق الذي وظّفك عنده؟».

«انا قادرة تماماً على العمل، ثم ان هذا ليس من شأنك» قالت بغضب.

«انا قادرة تماماً على العمل، ثم ان هذا ليس من شأنك». قالت بغضب.

«مشكلتك انك لم تقبلي ابداً كطفلة» قال وكانه يصفعها.

«فأنت فاسدة، انانية وعنيدة جداً».

«هذه مشكلتي» قالت بلا مبالاة.

«اعتقد انك اعطيت اهلك بعض المعلومات عن هذا العمل، فهم يعلمون به اليس كذلك؟» طالبها بالرد.

«بالطبع، يعلمون».

«وهل وافقوا؟».

نظرت اليه بلؤم. «سيدعونني اذهب».

«ذلك ليس ما سألته! هل وافقوا؟».

«اعتقد ذلك» قالت بخفة «انت لم تخبرني عن سبب وجودك هنا، لماذا اردت رؤيتي؟».

تنهد بغضب وشعد شفتيه «الله يعلم! لم اكن انوي

المجيء...» ابتعد عنها.

«انا ذاهب الى أميركا غداً، اعتقد انني اتيت لوداعك».

«الا تعلم؟» من دون قصد، كانت نبرتها استفزازية.

خطى ثلاث خطوات نحوها وأمسكها بكتفيها.

«لا، لا اعلم، لابد انني جننت حتى آتي الى هنا. انت مخلوق صغير غير ناضج واحمق. لديك الكثير من النمو، قبل ان يريد اي رجل مجنون التورط معك، عرفت انه من الجنون رؤيتك ثانية، لكن...» توقف عن الكلام.

«لكن؟» كانت دقات قلب ماري تتسارع، وجسدها يتحول لماء وهي تحدق بوجهه الغاضب، القاتم.

اطلق زفرة يائسة، «لو كان لدي اي احساس لخرجت من ذلك الباب دون اي كلمة!».

«اذاً لما لا تفعل؟» استدارت بعيداً عنه.

«ليساعدني الله، لا استطيع» تمتم ستونر.

شعرت ماري بإثارة مختنقة عندما امسك وجهها ليديره نحوه، وتحسس اصابعه على جلدها وكأنه رجل اعمى يحاول معرفة ملامحها.

حدق بعينيها الزرقاوين المخبئتين تحت اهدابها الكثيفة والتي بالتالي تخفي تعابيرها.

«هل يمكنك تخيل الشعور بأن تكوني مقسومة الى نصفين؟».

سألها فجأة:

«قسم مني تواق دائماً للصحراء، للصمت، للمساحات الخالية. والنصف الآخر ينقاد للافتات المضيئة، ولحشود

www.elromancia.com

المدن. طوال حياتي وأنا احارب الاندفاع الباعث على ترك العالم المتحضر ورميه ورائي والذهاب لقضاء ايامي في حرية الصحراء، لقد اضعت الكثير من طاقتي في محاربة نفسي».

«ولما محاربته؟» سألت باستخفاف، «لما لا تذهب، وتترك كل شيء آخر؟ فأنت رجل غني جداً، لست بحاجة للسعي وراء ثروة أكبر».

ابتسم بتهكم. «لما لا اذهب؟ لأني ما زلت شاباً واعرف ان الانسحاب الى عالم الصحراء القديم الذي لا يتغير، هو نوع من انواع الجبن. هناك لا يوجد اي تحدي لا استطيع مواجهته، لكن تحدي عالم الأعمال يخيفني، فخطوة واحدة خطأ، انهار وينهار كل شيء معي» لمعت عيناه بإثارة.

«لهذا انا ابقى».

فهمت ماري ذلك. راقبت وجهه القاتم المليء بالحياة، وقد علمت عنه الآن اكثر من أي وقت مضى، فهو يحب المجازفة، ويعشق احاسيس الخطر.

«انت مجنون» قالت برقة. «لا يمكنك اللعب دائماً في حياتك للأبد».

ابتسم لها «الا يمكنني؟ الا يجذبك هذا انت ايضاً يا ماري؟».

توقفت انفاسها عندما التقت نظراتهما.

«تلك الليلة سمعتك تتكلمين خارج الفندق، ففقز جزء مني، شاعراً بإثارة البرية»، قال بسرعة.

«لقد قلت اشياء، كنت افكر بها غالباً. انا ايضاً كنت تواقاً للصحراء، فقد سئمت الفنادق الفخمة، السخيفة. فالاغبياء فقط الذين يعتقدون ان المال يصنع الانسان، فجأة اردت ان العب، لعبة يمكن تصديقها، ان اعيش دور حياتي واجعلك تصدقينه ايضاً. فأخذتك الى الصحراء لاحقق حلمين سريين، حلمك وحلمي».

كانت بلا انفاس، متأثرة، وهي تصغي، تتحسس عضلات جسده القوية.

وفجأة تصلب وجهه.

«لكن حقيقة ذلك ارعبتك، اليس كذلك؟ فأنت سطحية جداً لتواجهي تحديات الخلاء، وغير ناضجة تماماً لتقابلي قبلة رجل بقبلة، وجوع بجوع...» امتلأ صوته بانفعالات قوية.

وكان هناك طارىء مفاجىء في ذراعيه القويتين التي تمسكانها وكأنها تحثها لفهم تلك المشاعر.

«انت تؤلمني» احتجت، وبدأت ترتعش. شعرت بالقوة البدائية فيه اكثر من ليلة الصحراء، التي اذا ما اطلقت لن يقف في وجهها شيء.

«اريد ان اؤلمك» قال بقوة.

«اريد لدغك لتشعري بالحياة، فأنت كالمخلوق الاصطناعي بشكل امرأة، فمع كل جمال ورغبات المرأة، انت تفتقدين لشعلة الحيوية. فقد قلت لنفسي انه من الغباء المجيء الى هنا، لأنك لست من يتجاوب مع اي رجل».

«اذاً لما لا تذهب؟» عبقت بالألم والغضب لما قاله.

لقد كان وجهه كالصقر، قريباً جداً منها لدرجة انها استطاعت رؤية كل تفاصيله. عيناه القاتمتان الغامضتان عميقتان جداً، لدرجة ان النظر اليهما كالوقوع في بئر عميق، وانفه الحاد وخدوده ذوي العظام البارزة وفمه المتوحش الذي تحرك فجأة نحوها، يقترب ويقترب....

«لا!» صرخت بنحيب، يختنق، ويديها تضربان صدره، كقطرات ندى على نافذة.

تأرجح العالم حولها بجنون، والنيران تشتعل في كل مكان لمسته يداه على جسدها. قلبها يخفق بسرعة حتى كاد ان يغمى عليها، وكأن احاسيسها عاجزة عن تلبية مطالبه.

تجاهل ستونر مقاومتها الهزيلة، فقبلها بقسوة، دون رحمة حتى ضعفت امامه، كالصخرة في منتصف نهر هائج، نصف غارقة نصف خارجة.

تعلقت به وهو يقبلها، يقبل فمها، خدها، حنجرتها، اذنيها، وعنقها، وفجأة دفعها بعيداً عنه بجفاف، فوقعت على الكنبة، حدقت به بانذهال، بينما تدلت خصلات شعرها الذهبي على وجهها.

حدق بها للحظة ثم قال بسخرية جارحة.

«إلى اللقاء، آنسة برينتون. كان لقاءك امراً تثقيفياً. انا اشفق على الرجل الذي سيكون غبياً كفاية ليقع في غرامك، ستكون تجربته محبطة، محاولة اشعال، شرارة من الفراغ المتحجر في قلبك».

استدار على عقبيه، وخرج من الغرفة. وانفجرت دموع

www.elromancia.com

الفصل الثامن

بعد عدة اسابيع، جلست ماري في كرسي العمل تراقب صبي يرتدي قميصاً ابيضاً وبنطلون ازرق، يحدق في رسم فيل انجزه لتوه.

«هل يجب ان يكون لديه خمس ارجل؟» سألته بخفة.

عدهم ببطء «هذه ليست رجل، انه ذيل».

قال جيريمي بانفعال وكلامه المتقطع ولفظه البطيء بسبب عمره الصغير، كانت كلماته غير مفهومة تقريباً.

«آه، انا آسفة». ثم حملت الصورة «انها جيدة لكن يجب ان نجد بعض اقلام التلوين الرمادية عندما نذهب في المرة القادمة الى السوق».

أنير وجه جيريمي الصغير «هل نستطيع الذهاب اليوم؟ انا احب الذهاب الى السوق، احب كثيراً الحلوى الزهرية».

«اجل». قالت بتفكير.

«لكن لا اظن انها جيدة لاسنانك، هيا لقد حان موعد الغداء».

«لا، ليس الأرز من جديد» قال بيأس.

«اتمنى لو استطيع الحصول على رقائق البطاط».

«انت تعلم، انهم لا يملكون البطاطا هنا» قالت ماري.

«باستطاعتي التمني، الا يحق لي ذلك، على كل حال فأنا لست جائعاً كثيراً»، حدق بها بعينيه البنيتين الصغيرتين بعنف.

الحرارة تجعله عنيفاً، فكرت ماري، كانت دائماً تصر على ان يأخذ جيريمي قيلولة بعد الظهر عندما تشتد الحرارة.

لكنه غالباً ما كان يجد النوم صعباً في النهار فيقوم ويلعب بألعابه، عندما لا تراقبه.

فقد وضعت جدوله في انكلترا، قبل مغادرتهم الى جدبور.

وقد اصبحوا اصدقاء في حينها، فقد كان جيريمي فتى ودوداً، هادئاً، معتاداً على تسلية نفسه، ويسعد دائماً بالأصدقاء. ففي الطيران الطويل من انكلترا، لم يجدوا اي صعوبة في ابقائه هادئاً، لأنه جلس يرسم الغيوم البيضاء التي كان يراها من النافذة. لكن ماري كانت مليئة بالخوف ذلك اليوم، تتساءل اذا كانت قد اخذت القرار الصحيح، او هل ستفتقد اهلها وهي في الهند، وهل ستكون قادرة على تدبر امر رعاية الصبي.

اقلتهم سيارة الملك الى القصر، حيث ارشدهم خادم

بلباس ابيض الى غرفة انتظار الملك، حيث انتظروه ما يقارب العشر دقائق قبل ان يأتي مرتدياً لباساً حريرياً ازرق، انحنى امامهم، جامعاً راحة كفيه، مؤدياً تحية جليلة.

«سيدة كنينغهام... انا سعيد برؤيتك؟ وهذا ابنك؟» مد يده مصافحاً جيريمي.

«انا سعيد بلقائك». ثم نظر الى ماري.

«وهذه آنسة برينتون، مربية طفلك؟».

تصافحت ماري معه، متأثرة بأخلاقه المنفتحة والمباشرة. فهو لم يكن كما توقعت.

«هل زرت من قبل هذه البقعة من العالم؟» سألها، «ما رأيك ببلدنا الصغير؟».

«لم ازر الهند من قبل» قالت، «لكنني متأكدة انني ساحبها».

«هذه ليست الهند، آنسة برينتون» قال ببساطة.

«جدبور مملكة مستقلة، لها تاريخها الخاص، لغتها، عاداتها، ونحن فخورون بماضينا ومتفائلين جداً بالنسبة لمستقبلنا».

كانت محرجة جداً فنظرت الى جيس معتذرة، آملة ان لا تكون قد اهانت الملك. ابتسمت لها جيس نافية الموضوع. صفق الملك بيديه، فأطل خادم بلباس ابيض، شامخ الوجه، انحنى بكبرياء.

«رحايب، خذ الآنسة، برينتون والسيد جيريمي الى مكان اقامتهما، فأنا اريد التحدث مع السيدة كنينغهام بشأن عملها. واتمنى ان تعذرونا قليلاً». قال مبتسماً لماري.

«رحايب سيؤمن كل ما تحتاجونه».

قادهما رحايب الى الأروقة الرخامية، حيث اعجبت بانذهال، بالفسيفساء المزينة على الجدران، التي تمثل كل تلك الصور البربرية. حتى سمعوا صوت وقع اقدام قادمة، فكان شاباً في ملابس غريبة، قميصاً ابيض وبنطلوناً ابيض.

نظرت اليه ماري بغرابة، فابتسم لها: «كنت العب الكريكيت» شرح لها، سبب ارتدائه هذه الملابس.

«لابد انك السيدة كنينغهام يجب القول انك تبدين اصغر بكثير لتكوني فنانة مشهورة».

ضحكت، فرقصت عيناها الزرقاوين «ذلك لأنني لست السيدة كنينغهام، انا مربية ابنها».

«انا ابن عم الملك، اسمي عزيز، هل لي ان اسأل عن اسمك؟» قال مبتسماً.

«ماري برينتون» قالت له.

«انا سعيد بلقائك، آنسة برنتون فأنت الجواب لصلوات صبية».

نظرت اليه باستغراب. فظنت انه اساء التعبير.

«اعني ذلك ادبياً، فلا اعتقد ان الملك ذكر عائشة؟».

هزت رأسها نفياً. «من عائشة؟».

«اخته، لقد عادت منذ سنة من باريس، وقد ملت العيش هنا. فلقد تلقت ثقافة غربية مثلي تماماً، لكن الآن عدنا الى جدبور، ويجب ان نعود الى الطرق القديمة. الأمر ليس سيئاً بالنسبة لي، لكنه قاسياً بالنسبة لعائشة،

فهي بحاجة لصديقة فهناك الكثير يمكنها فعله مع صديقه».

«بدا الملك منفتحاً جداً» اعترضت ماري.

تنهد عزيز «هو كذلك، لكن لا يمكنه طوال الوقت اعتراض معاونيه الذين يديرون البلاد معه، صدقيني كثير من الناس سيفتعلون المشاكل اذا تركت عائشة على حريتها. فهي لم تتزوج بعد، على الرغم من انها اصبحت في العشرين من عمرها، وبالنسبة لبعض الناس هنا انه امر مريع».

«مريع؟» نظرت ماري اليه غير مصدقة.

«يظنون انها اصبحت كبيرة جداً، ويريدون من الملك ايجاد زوج لها» قال عزيز بتجهم.

«زواج مدبر؟» عرفت ماري، ان هكذا هي العادات هنا اوماً عزيز «رئيس الوزراء هو زعيم المحافظين المصممون على زواج عائشة...».

نظرت ماري بعصبية الى رحايب الذي يقف بجانبهم دون ان يدل وجهه على شيء.

«آه، لا تقلقي بشأن رحايب، فقد كان حارس الملك عندما كان الملك صغيراً فهو يفضل الموت على ان يخون احد منا».

لم يقم رحايب باي حركة تدل على انه سمع اي من هذا الكلام.

«ارأيت؟ هو عينين واذنين، لكنه لا يتكلم، الا اذا امره الملك» قال عزيز وابتسم.

«اذاً الملك يوافق على اقتراحك؟» سألت بارتياب.

قال عزيز برقة «الملك يريد ان تكون شقيقته سعيدة لكنه لا يستطيع التصرف لوحده، فاذا ارادت زيارتك في مكان اقامتك، سيوافق».

استدار رحايب فجأة وتمتم «السيد حاثني يقترب».

نظر عزيز بسرعة الى ماري «لا تذكري انك رأيتيني فنحن لم نلتق من قبل» ركض مسرعاً في الرواق، ثم اختفى.

احتارت ماري مما يحدث ثم تحركوا ببطء حتى ظهر رجل قصير القامة ذا شعر رمادي، ومشى خلفه رجلان، توقف عندما التقى وجهاً لوجه بماري فابتسم لها.

تكلم رحايب باللغة المحلية الى الرجل الذي استدار نحوها وانحنى جامعاً راحة كفيه، فبادلته ماري نفس التحية.

«آنسة برينتون انا احثني كوندور، رئيس الوزراء اهلا بك في جدبور، اتمنى ان تكوني قد حظيت برحلة ممتعة».

«اجل، شكراً» قالت ماري بقليل من التوتر لوجوده.

«اتمنى ان نلتقي ثانية آنسة برينتون» وتابع سيره.

تنفست الصعداء لذهابه، ثم تابعوا سيرهم، حيث صعدوا الى الليموزين السوداء، ليخرجوا من بوابة القصر، متجهين الى البلدة، وسرعان ما وجدوا انفسهم في السوق المحتشد بالناس والمحلات، وبالقرب من بئر قديم جلس عدد من النساء الطاعنات في السن يتبادلون الاقاويل، بينما اطفال في قمصان بيضاء حفاة الاقدام يركضون ويلاحقون

بعضهم.

لكن اكثر ما جذب انتباه جيريمي بائع الحلوى الذي وقف الى جانب الطريق.

«هل استطيع شراء بعض الحلوى؟» سأل جيرمي متلهفاً.

ابتسمت ماري له «ربما في يوم آخر» فلم تكن متأكدة من سلامة الطعام في السوق وحوله كل هذا الذباب.

«متى نستطيع المجيء الي هنا ثانية؟» سأل جيرمي.

«سنسأل امك» وعدته.

«قريباً؟ غداً؟».

«ربما» قالت فهي، لم ترد ربط نفسها بأي تعهد، فعليها ان ترى السيدة كنتغهام بشأن السوق قبل ان توافق على اخذ جيريمي الى هناك.

قال رحايب بهدوء «آخذكم الى السوق انت والطفل عندما تريدان، آنسة برينتون».

نظرت اليه بامتنان «شكراً لك، هذا لطف منك».

هز رأسه «طلب مني سمو الملك ان امنع عنكما اي اذى، فأنا خادمكما يا آنسة، هنا في جدبور».

«شكراً لك يا رحايب» قالت ماري.

«على الرحب والسعة فهناك اشخاص في جدبور، لا يوافقون على رغبة الملك في تجديد المملكة، فهم ينبذون الاجانب وربما سيفتعلون المشاكل لك، اذا مشيت وحدك، لهذا السبب جلالة الملك طلب مني حراستكم».

نظرت اليه باستغراب «انت تعني انه خطر علينا الخروج

دون ان تكون معنا».

«من الافضل ان لا تفعلي هذا، معظم الاشخاص هنا محبين ومضيافين، لكن هناك البعض ممن يكره الاساليب الجديدة ويريدون الامور كما هي... هؤلاء الاشخاص هم مشاغبين».

تذكرت ما قاله لها عزيز «ورئيس الوزراء ايضاً من المعارضين، اليس كذلك؟» سألت.

تصلب وجه رحايب «سيدي حائني يفضل الطرق القديمة» ايد بتهذيب ثم نظر اليها مباشرة.

«لكن لا تخافي منه يا سيدتي، السيد حائني رجل طيب».

«بدا عزيز انه يخاف منه» قالت وكأنها تحدث نفسها.

تردد رحايب ثم قال بلطف.

«سيدي عزيز يحترم اباه كثيراً، يا سيدتي».

حدقت به في دهشة «اباه؟».

«السيد حائني هو عم الملك» قال رحايب.

«وعزيز ابنه» قالت «اذاً لماذا اختبأ منه؟».

«لانه لم يرد ان يراه اباه يتحدث معك، حتى لا يرتاب عندما يراك تتحدثين مع الاميرة عائشة، بان هذا من تدبير ابنه».

«شكراً لك يا رحايب، لاخباري» قالت بامتنان.

«فكرت، انه يجب ان تعرفي ذلك آنسة برينتون، فالامير عزيز يرى حسب رغباته دائماً».

«اعتقد انه لطف منه محاولته لمساعدة الاميرة عائشة»

قالت.

نظر اليها رحايب بتردد، وكأنه كتم شيئاً اراد قوله.

اخيراً وصلوا الى المنزل، حيث استقبلتهم امرأة ترتدي ساري اصفر اللون، حيتهم بتهذيب.

«ليسبا لا تتكلم الانكليزية» قال رحايب «سأترجم لها، اذا اخبرتني ما تريدين».

ابتسمت ماري لليسبا.

«قل لها ان الصبي الصغير جائع وتعب».

نظرت ليسبا الى جيريمي، عندما تكلم معها رحايب فابتسمت، وامسكت له يده واخذته معها.

رحايب اشار لماري عبر الرواق الى غرفة نومها المبردة.

«هذه هي غرفتك يا سيدتي، فيها مراوح لتعطي جو بارد، وامتعتك موجودة فيها».

شعرت ماري بالارتياح للبرود «انها جميلة» اخبرت رحايب.

«تريدين ان ترتاحي ام تأكلي، سيدتي؟».

«اعتقد انه من الافضل تناول الطعام في البدء» قالت.

سأذهب لارى اذا كان الطعام جاهزاً، فاغتسلي وانعشي نفسك، هناك حمام وراء هذا الباب» قال بلطف وانحنى لها.

اندهشت ماري «حمام؟» لم تتوقع شيئاً كهذا هنا.

«هذا البيت كان لرجل اميركي اتى لدراسة المعابد القديمة» شرح رحايب.

«فقد بنى حماماً في البيت، بالطبع نحن ليس لدينا اي

امدادات حديثة في بيوتنا».

«لغتك الانكليزية جيدة جداً يا رحايب، هل ذهبت مرة الى اوروبا؟» سألته باعجاب.

بدا مندهشاً «بالطبع فقد كنت مع الملك عندما ذهب الى المدرسة، ثم الى الجامعة في انكلترا، لقد قضيت اربع عشرة عاماً في وطنك».

«اربعة عشر عاماً؟ لا عجب ان تكون انكليزيتك جيدة الى هذا الحد».

«كان جلالة الملك في السابعة من عمره، عندما ارسله ابوه الى المدرسة، فبقيا هناك حتى انهى تحصيله العلمي، وفي كل سنة كنا نقضي الصيف هنا، كنت استطيع الزواج حينها، لكني انتظرت حتى عاد الملك الى موطنه للابد».

«وهل انت متزوج الآن؟» سألته بحشرية.

تفجأ لسؤالها «ليسبا هي زوجتي» قال.

«آه، فهمت» قالت بذهول متذكرة طريقته الآمرة في الكلام معها وكأنها خادمة وليس زوجته.

«وهل لديك اولاد؟» سألت.

ابتسم «ثلاثة ابناء» قال بفخر «ليسبا زوجة صالحة».

فجأة لمعت عيناه «والملك متزوج وهو ينتظر ابنه الاول بعد شهرين، والملكة جميلة جداً ولطيفة، صوتها كالعسل، وبشرتها كالحرير» قال متردداً.

نظرت اليه ماري بفضولية، فقد بدا وكأنه يعبد الملكة، وكأن حبه للملك اضفى عليه حباً للملكة.

«كم عمر الملكة؟» سألت بفضولية.

«خمسة عشر عاماً» قال رحايب.

«خمسة عشر عاماً!!» اندهشت ماري فقد بدت صغيرة جداً لتكون ملكة ولتنتظر مولودها الاول، ولكن يبدو ان كل شيء مختلف هنا.

بعدما تركها رحايب، ذهبت الى الحمام واخذت دوشاً سريعاً وعندما عادت الى غرفتها وجدت جيريمي جالساً على سريرها.

«انا نعس» قال بتعب.

«اذاً نم» قالت وحملته الى غرفته الصغيرة كان رحايب قد دلها عليها على انها غرفة الصبي، فلم تكد تضعه في سريره حتى نام، فلقد كانت رحلة طويلة ومتعبة.

عادت جيس من القصر بعد ساعات، وعيناها مليئة بالاثارة، وهي تخبر ماري عن الخطط التي وضعتها هي والملك للعمل.

«سأتمتع بذلك» قالت بسعادة «ماذا عنك؟ هل استقريت؟» سألت جيس.

قالت ماري انها تشعر كما لو كان بيتها، ووافقتها جيس على ذلك.

انتهى يومهم الاول في جدبور في سلام، وهكذا بدأت حياتهم تأخذ منحاً روتينياً، فكل يوم تستيقظ جيس عند الفجر وتتناول طعام افطارها المكون من الفواكه، ثم تذهب الى الكوخ المعد لها قرب النهر بجيب صغير، قدمه لها الملك لتتنقل به، وفي خلال غيابها، تبقى ماري مع

جيريمي في المنزل، لرسم الاشكال والنمور، فهذا كان عمله الممتع، فقد كان يتمتع بموهبة طبيعية كأمه.

وغالباً ما يذهبون ماري وجيريمي وليسبا الى السوق لشراء الطعام او الاقلام لجيريمي.

واليوم عندما عادوا الى البيت من اجل طعام الغداء طالب جيريمي بالذهاب الى السوق، فوعدته ماري بالذهاب غداً، مما جعله راضياً.

رأى جيريمي طعام الغداء الموضوع على الطاولة باشمئزاز.

«ارز من جديد» قال باستياء، فنظرت اليه ليسبا بتعجب.

تكلمت معها ماري باللغة المحلية «جيد، جيد جداً» فقد تعلمت بعض الجمل من رحايب لتتكلم مع ليسبا بلغتها.

فابتسمت ليسبا حبياً.

«لا يجب ان تجرح شعور ليسبا، يا جيريمي» قالت ماري بلطف.

«فهي تعمل كثيراً لتحضير الوجبات، ويجب ان تتعلم كيف تحبهم».

«انها جميعاً متماثلة» قال بغضب.

تنهدت ماري، فمن الصعب جداً لصبي في عمره ان يتكيف مع هذه الاشياء فكرت في نفسها.

ظهر رجايب خلف كرسيها وانحنى ليقول بهدوء.

«هناك سيد انكليزي يود رؤيتك، آنسة برينتون».

فجأة قفز قلبها من بين اضلاعها بأمل مستبعد، امل

قلق.

«رجل انكليزي؟ هل افصح عن اسمه؟».

«انه عالم آثار يدعى دايفدسون» شرح رحايب «انه يعيش هنا، فهو يدرس معابدنا ـ العديد من باحثي الآثار اتوا الى هنا، فهم يعيشون في منزل قريب من المعابد، ونادراً ما يأتون الى هنا».

«دايفيدسون؟» لم تكن تعرف الاسم لكنها سمحت له بالدخول.

«آنسة برينتون؟ انا آسف لازعاجك خلال وجبتك».

كان الصوت مرحاً، شاباً ذا لهجة غربية مرافقة للغة الانكليزية.

ابتسمت ومدت له يدها «سيد دايفيدسون؟ تفضل الى الغداء هناك ما يكفي لثلاثة اشخاص».

«حسناً شكراً» قال على الفور، واخذ كرسي.

يجب ان اعترف، انني جائع، فقد كنت اجول في لاهلي طوال الصباح محاولاً رؤية الملك، لكنهم لم يسمحوا لي بدخول القصر، ولهذا انا هنا، لاقول لك الحقيقة».

احتارت من كلامه وحدقت به «كيف يمكنني مساعدتك؟».

«انت تعملين للسيدة كنينغهام» قال وهو يتقبل الصحن من ليسبا.

«وهي تعمل للملك، بامكانها جعله يراني».

ضحكت ماري «آه، لا اعرف بشأن ذلك، فهي لم تر

الملك منذ وصولنا، فقد تكلموا في اول يوم، لكنه مشغول من حينها».

«بامكانها ارسال ورقة له» قال بتلهف.

«لماذا تريد رؤيته بشدة؟» سألت.

وضع في فمه طعاماً ثم نظر الي ليسبا وتكلم معها باللغة المحلية.

«سيد دايفيدسون، انت تتكلم اللغة المحلية؟» سألت بحشرية.

اومأ برأسه «لقد تعلمتها منذ وصولي الى هنا».

«ومنذ متى انت هنا؟» سألت.

«منذ ثلاثة اشهر».

«ثلاثة اشهر؟» صعقت لجوابه «لكن تتحدث بطلاقة».

قالت بتواضع «لدي شغف باللغات... فأنا اتكلم احدى عشر لغة انها هواية» ابتسم لها «آه اسمي بيتر».

ابتسمت «اسمي ماري، اذاً لماذا تريد رؤية الملك؟».

«اريد رؤية معبد في الادغال ويبدو انه من المحرمات الاقتراب منه، انه مقدس او شيء من هذا القبيل، او ربما السيد حائني يمنعني من ذلك فهو يكره رؤيتي، لو استطعت فقط ارسال رسالة الى الملك، انا متأكد انه يعطيني الاذن، فهو رجل متحضر جداً».

نظرت ماري الى وجه رحايب.

«حسناً سأكلم السيدة كنينغهام، لكن لا استطيع وعدك بأي شيء».

نظر بيتر دايفيدسون الى رحايب.

«ما رأيك يا رحايب؟».

«لا استطيع القول يا سيدي» رد رحايب ببرود.

«هذا يعني انه يرفض التورط، رجل كتوم» قال بيتر.

«هل التقيتم من قبل؟» سألت ماري.

ضحك بيتر «اي شخص يلتقي بالملك، يلتقي برحايب فهو ظل الملك».

«لكنه الآن ظلنا» قالت ماري مبتسمة لرحايب «فهو لطيف جداً معنا».

نظر بيتر الى جيريمي «هل تتمتع بغذاؤك ايها الشاب».

«لا» قال جيريمي بكآبة.

«لقد علفت بالارز...».

عبست ماري فيه «جيريمي! هذه فظاظة منك!».

«لا» قال بيتر بمرح «فقط صادق، سأقول لك يا جيريمي، ما رأيك لو تتناول العشاء معي الليلة سأقدم لك طعام انكليزي».

اضاء وجه جيريمي «رقائق البطاطا؟» سأل بتشوق.

«لا ادري عن الرقائق» قال بيتر وهو يحك ذقنه «باستطاعتي تقديم بعض البطاطا والنقانق».

«نقانق؟» شع وجه جيريمي بالبهجة «حقاً» حدق به وكأنه سانتاكلوز.

«وبطاطا؟ قالت ماري انه لا يوجد بطاطا في جدبور!» قال وكأنه يتهمها.

غمزها بيتر «لدي تموين سري، هل ستأتون؟» نظر بيتر الى ماري منتظراً جوابها.

«آه، ارجوك» توسل جيريمي اليها فابتسمت.

«اعتقد انه من الصعب الرفض، فجيريمي لن يغفر لي ابداً».

«ولا انا ايضاً» اكد بيتر لها.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

عندما عادت جيس من نهارها كانت تعبة وتشعر بالحر الشديد، حيث بلل العرق ثيابها.

توقفت لتلقي عليهم التحية قبل الدخول الى الحمام لتأخذ دوشاً.

فضحك جيريمي عندما رأى مظهرها «انت قذرة يا امي».

«جداً» ايدت قوله «لكنني انجزت عملاً كثيراً اليوم، رأيت نمراً قرب بقعة الماء متوحش رائع بقي حوالي النصف ساعة واقفاً هناك، فاستطعت رسم عدة لقطات له».

«جيس، لقد وصلتنا دعوة» اعلمتها ماري.

قفز جيريمي بمرح «اجل سنتناول البطاطا على العشاء».

ضحكت جيس «بطاطا، يبدو الامر غريباً يا عزيزتي».

نظرت ماري الى جيس وضحكت.

«شاب اتى اليوم ودعانا الى العشاء، وقد عرض علينا كعشاء البطاطا والنقانق... وجيريمي لم يصدق اذنيه، اخشى انني لم استطع خذل جيريمي بالرفض».

ضحكت جيس ثانية «ومن هو هذا الداعي؟».

«باحث آثار انكليزي» اخبرتها ماري «بيتر ديفيد سون، فهو لطيف».

«فهمت» قالت جيس بغمزة من عينها «في هذه الحال، اعتقد انه من الافضل ان تذهبا انتما الى عشائكما».

«آه، يجب ان تأتي ايضاً» الحت ماري عليها.

هزت جيس رأسها نفياً «انا تعبة جداً سأرسل اعتذاري معكم.

«امي، متى نستطيع الذهاب معك، لنرى الكوخ قرب النهر؟» قالت جيريمي متوسلاً «اريد ان ارى النمور والافيال».

«لما لا تأتون غداً؟» ردت بسرعة «انت وماري بامكانكما المجيء، لكن عليك ان تكون صامتاً جداً وانا اعمل يا جيريمي».

«اعدك» قال بسعادة.

ضحكت جيس وذهبت الى حمامها، بينما رحايب اخذ ماري وجيريمي عبر الطريق الوعر المؤدي الى البيوت قرب المعبد حيث يسكن باحثي الآثار.

كان بيتر يقف على الشرفة عندما وصلوا، فخرج لاستقبالهم، بعد ان تصافحا قادهم الى الداخل.

«اراد اصدقائي ان يبقوا لكنني قلت لهم ان هذه حفلتي

وعليهم ايجاد ضيوفهم هم» قال بيتر بمرح وهو يملأ كوباً من الليموناضة، وناوله لجيريمي.

«اتوقع انهم يراقبوننا الآن».

«آه، يا للخجل» قالت ماري، وهي تكاد تضحك.

«كم هو عددكم هنا؟».

«اربعة اشخاص» اخبرها «قائدنا هو غرانت ويليامز وهناك دافي ايرلندي الجنسية وهو مدمن على القمار، وسانتز باري المكتسب لعادات الرهبنة ولا يمرح ابداً وانا» ابتسم لها.

كان جيريمي يحدق في الغرفة بفضولية «لا ارى اية بطاطا او نقانق» قال.

ماري اعطت بيتر نظرة تحذيرية «آمل لاجلك فقط ان تكون قد اثرت فضوله فقط، لان حياته متوقفة الآن على البطاطا التي وعدته بها».

قام وانحنى «عندما اعد بشيء فأنني اعني كل كلمة».

رن جرساً صغيراً فأطل بعد لحظات رجل عجوز يحمل صينية كبيرة عليها صحون مغطاة، فوضعها على طاولة عليها ثلاثة صحون.

«شكراً لك رامجي» قال بيتر بمرح «سنقوم بالباقي».

كشف عن الصحون المغطاة فبان الطعام المطلوب.

«كيف فعلت ذلك؟» سألت ماري، بينما بيتر كان يضع طعاماً في صحن جيريمي المتلهف.

«المعلبات» قال بانتصار.

انفجرت ضاحكة ثم لمعت عيناه.

«من اين احضرتهم؟».

فاذا كان باستطاعة بيتر شراء المعلبات، كذلك هم فكرت. هز بيتر رأسه.

«احضرتهم من انكلترا مع امتعتي وناكلهم في المناسبات، لا نستطيع احضار سوى كميات قليلة، والا كنت اعطيتك بعضها، لكن بامكانك الحصول عليها من المدن الكبرى مثل دلهي وكالكوتا فهناك تجمع انكليزي».

تناولوا الكاستارد بعد الاكل، كذلك معلبات قال لها بيتر ثم شربوا القهوة، وبينما كان جيريمي يتفرج على بعض الصور الملونة، استمعا بيتر وماري الى بعض الاشرطة وتحدثا.

فجأة قطع انسجامهم وقع اقدام على الشرفة، فنظر بيتر بتجهم.

«كان يجب ان اعلم انهم سيأتوا».

ثم دخل ثلاثة رجال الى الغرفة ينظرون الى ماري فحاصروها بعد ان عرفهم بها، وبدأوا يتكلمون جميعاً في وقت واحد، فاضحكوها.

«لقد عرفت سبب عدم السماح لنا بالاقتراب من المعبد» قال غرانت ويليامز.

«آه، من؟» سأل بيتر بسرعة.

«يبدو انها السيدة كنينغهام وراء هذا» قال غرانت وابتسم لماري.

«جيس» قالت ماري باستغراب.

استدار نحوها وغمزت عيناه «يبدو انها لا تريد زواراً

هناك، حتى لا يخيفوا الحيوانات، والمعبد على بعد مئات الياردات منها».

«اذاً هكذا!» قالت بيتر بانفعال.

«يبدو انه يجب ان اذهب واجعلها تأخذني معها».

«سنذهب الى هناك غداً» قالت ماري.

«هذا رائع، سآتي معكم» قال بيتر.

«آه، لا اعرف بشأن ذلك» اعترضت «يجب ان تسأل جيس».

«سأعود معكم وأسألها الليلة» قال بيتر.

«كيف ستعود؟» سأله غرانت بسخرية.

«انا بحاجة للجيب، الليلة، فسأوصل بعد الرسائل. لكن لدي فكرة افضل، بما انني المسؤول هنا، فسأرى السيدة كاننغهام واطلب منها الاذن لك لزيارة المعبد، وتبقى عندهم حتى اكون قد انجزت مهمة ارسال الرسائل، فانت تعلم انها تأخذ وقتاً طويلاً».

وهكذا عادوا الى المنزل ووراءهم غرانت ويليامز، فدخل الى المنزل ليتحدث مع جيس التي جفلت عندما رأته.

«انا آسف لتطفلي في هذه الساعة» قال هذا وشرح لها مهمته.

«اذا اتى السيد دايفيدسون معنا غداً، يجب ان يكون هادئاً جداً، فأنا لا اريد اي اصوات قرب بقعة المياه، فالحيوانات تشتم اي رائحة غريبة فلا تقترب حتى تشعر بصفاء المنطقة» قالت جيس.

«سأحضره بنفس» قال غرانت «اظن انه بامكاني أبقاءه كتوماً، اذا كنت بجانبه».

«فهمت» نظرت جيس اليه بضحكة في عينيها.

«هل تثقي بي؟» سألت.

«اظن سأفعل» قالت برقة.

في فجر اليوم التالي، جهزوا انفسهم في جيبين، جيس وماري وجيريمي في جيب، بيتر وغرانت ويليامز ورحايب في جيب آخر خلفهم، كانت الرحلة بطيئة ومؤلمة، والطرقات وعرة مليئة بالغبار، وسرعان ما تركوا الجيبات في منطقة خالية وأكملوا الطريق سيراً على الاقدام.

«سنصل الى النهر قريباً جداً» قالت جيس برقة.

كان الجو حاراً ومليئاً بالرطوبة، وعند الفجر كان الضباب لم يتوضح بعد عن ضفاف النهر.

فجأة طار طائر مائي وفي منقاره سمكة، فأجفلهم.

«ها قد وصلنا» همست جيس.

«لا يبدو المكان آمناً بالنسبة لي» قال غرانت ويليامز بتجهم بعد ان رأى التماسيح على ضفاف النهر.

ذهب بيتر مع ماري ليشاهدا المعبد بينما بقي جيريمي مع امه جيس وذهب رحايب الى القرية لاحضار بعض الحليب.

عندما انتهى النهار كانوا قد انهوا مهمتهم بجيسي انهت رسمتها بسلام وبدون تعب وخوف من جيريمي، وماري استمتعت بمشاهدة المعبد مع بيتر.

بينما هما راجعان من المعبد سمعا صوت جلبة فتبين لها

انها صوت نمر قادم من بعيد فخافت كثيراً.

«هيا لنركض يا بيتر اظن ان هناك نمراً مفترساً قريباً من هنا».

«يا الهي لقد نسيت مسدسي في المعبد» قال بيتر.

«سأذهب لاحضاره» قال بيتر.

«كلا لا تذهب سأذهب انا بدلاً منك فأبقى في مكانك وانتظرني» قالت ماري.

عندما عادت ماري الى مكان بيتر لمحت نمراً يصارع رجلاً ممداً على الارض فلم تستطيع ان تتبين من هو لكنه ليس بيتر انه رجل اسمر طويل وضخم انه يذكرها بشخص تعرفه.

«يا الهي انه ستونر!!». صرخت ماري بدهشة وهي تراه ممداً على الارض يصارع النمر. بينما كان بيتر يحاول اخافة النمر بعصا وبدون شعور صوبت المسدس نحو رأس النمر واطلقت النار، لكنها اخطأته فهرب النمر بعيداً.

«يا الهي ستونر ماذا جرى لك وماذا تفعل هنا».

ساعده بيتر بالنهوض وكان الدم يسيل من ذراعه.

«ساعدوني بالوقوف استطيع المشي دون مساعدة عندما اقف».

ساعده بيتر بلطف ليقف، امسك ستونر كتفه الممزق.

«ماذا كنت تفعل في الادغال؟». سأله بيتر. «ومن اين اتيت؟».

«من لاهلي» قال ستونر بتجهم.

«اسمي غراي» قال ستونر.

«انا بيتر دايفيدسون وأنا عالم آثار وهذه...».

«اعرف» قاطعه ستونر.

«يبدو انكم تعرفون بعضكم» سأل بيتر.

بعد لحظات جاء رحايب جالباً معه البيض والحليب فأخذ بهدوء ينظر الى ذراع ستونر، ليرى مدى بلاغة الجرح فاستدار ستونر حتى لا ترى ماري جرحه، لكنها رأت وجه رحايب، فادركت على الفور انه خطير.

حمله رحايب الى القرية بينما بقي الآخرون في المكان.

«انني اتعجب ماذا كان يفعل في الادغال» قال بيتر.

«لست ادري» قالت ماري.

«هيا لنعود الى القرية فلقد انتهى هذا اليوم فيه يكفي من متاعب».

قالت جيس.

الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي عندما ذهبت جيس الى الكوخ لتكمل عملها ماري اخذت جيريمي الى السوق كما وعدته، وذهب معها رحايب وليسبا وبعد ان اشترت الاقلام والحلوى لجيريمي تركته مع ليسبا وتوجهت نحو المستشفى.

سألت عن غرفة السيد ستونر.

«السيد غراي في الغرفة رقم ١٢ ولكن انتبهي انه بمزاج عكر فالرجال عندما يكونون في الفراش يصبحون مفترسين ويريدون الخروج من السرير قبل ان يشفوا».

«كيف اصبح كتفه؟» سألت ماري.

«اصبح جيداً انه محظوظ بهذا الجرح».

وصلت ماري الى الغرفة ودقت على الباب.

«ما الامر؟» قال بصوت حاد.

فتحت الباب فرأت ستونر مستلقياً على السرير وكتفه

ملفوف.

«ادخلي واقفلي الباب» قال بعد لحظة.

اطاعته ماري، واقتربت من السرير، واضعة كيس الفواكه على طاولة قرب سريره فحدق به.

«ما هذا؟ علاج محلي؟».

«فاكهة» قالت «سمعت انك تسبب المتاعب للممرضات».

رفع حاجبيه بسخرية «تثرثرين مع الممرضات، هل اخبروك انك انقذت حياتي».

«هراء».

«انها الحقيقة، دقيقة اخرى وكنت سأصبح عشاء للنمر».

«انت جاحد حقاً».

«هل تريدين الامتنان» استلقى وراقبها بعينيه اللاهبتين.

«ماذا تفعل هنا يا ستونر؟ لماذا اتيت الى جدبور؟».

«لماذا برأيك؟» رد بسرعة.

«انت اخبرني» قالت.

«اعتقد انك تظنين اني لحقت بك الى هنا؟» سأل برقة.

«وهل تبعتني».

في الحقيقة انا هنا في عمل، انها صفقة مهمة ولا اريد ان يعرف احد بها في هذه الاوقات، لذلك دعي الجميع يصدقون انني هنا من اجلك» قال ستونر.

«انا لا امانع من اعتباري مريض حبك».

«ولكن انا امانع ان اكون موضع ثرثرات» قالت ثم

اضافت:

«ثم كيف لي ان اعرف بأنك هنا من اجل عمل؟ فقد قلت لي العديد من الاكاذيب ولا اعرف اي منها سأصدق».

«انا لا اكذب الآن، حسناً سأخبرك انا هنا من اجل مشروع فنادق في المنطقة هذا المكان يمكن ان يشكل جاذب سياحي كبير، و بذلك يمكننا جني الكثير من المال هنا».

«اذاً هذا كل ما في الامر» قالت بسطحية.

«هذا هو» تمتم مراقباً وجهها.

«انت تحول كل شيء من اجل مصلحتك» قالت متهمة اياه.

«هذا صحيح» قال مؤيداً.

«هل رأيت الملك؟» سألته.

«لا استطيع التقرب منه مباشرة» قال ستونر.

«فهذا سيسبب الكثير من الاقاويل اني محتاج لوسيط».

«ولا يهم اذا وجدت الامر محرجاً في انك تبعتني الى هنا؟».

«بحق الله يا ماري» انفجر غاضباً «اما ان تكون لك علاقه معه او لا، اوضحي موقفك».

«ولكن لا اريد ان يظن بيتر ان بيني وبينك علاقة».

تجمد ستونر للحظة ثم قال بتجهم.

«انها خسارة حقاً، فأنا بحاجة الى تعاونك».

«من تظن نفسك، لتحاول التأثير على طرق حياة

الآخرين؟ ولماذا انا مضطرة لمساعدتك».

تراجعت ماري وهي تراقب ذلك اللون الشاحب في وجهه.

«آه حسناً سأحاول رؤية الملك» قالت بقلق.

«ستحتاجين لعذر» قال «فلا يمكنك ان تذهبي اليه وتطلبي منه زيارتي هكذا».

«سأكون متعقلة» وعدته.

«ماذا ستقولين؟» سألها وكأنه يطالبها.

«اترك هذا الامر لي» قالت واتجهت نحو الباب.

«شكراً على الفاكهة» قال وهو يراقبها تفتح الباب.

نظرت اليه بغضب فابتسم لها ستونر ملوحاً لها بيده.

بعد ان زرعت اول بذرة من خطتها، طلبت من رحايب ان يأخذها الى القصر لتطلب مقابلة الاميرة عائشة.

بعد انتظار نصف ساعة ادخلوها الى غرفة مفروشة بالحرير حيث كانت تجلس الاميرة عائشة.

«آنسة برينتون؟ لقد اخبرني عزيز عنك وانا سعيدة بلقائك، تفضلي بالجلوس، اتريدين بعض الشاي؟».

«شكراً».

«والآن هل يمكنني مساعدتك بشيء؟».

«اني بحاجة لمساعدتك، هناك صديق لي في المستشفى و. . .».

«السيد غراي» قالت الاميرة.

«هل سمعت عنه؟».

«لقد وصل التقرير الى اخي فور حصول الحادث

عزيزتي آنسة برينتون لاهلي ليست لندن لا شيء يحدث هنا دون ان نعرف به فأخي يحب ابقاء جميع منافذ البلاد تحت اصابعه، فوصول رجل غني ومشهور مثير للاهتمام، اينما تم حدوثه خاصة اذا اصابه نمر متوحش بجرح بليغ فقد عرف اخي به فوراً وعلم ايضاً ان زيارته متعلقة بك آنسة برينتون، فأول شيء فعله السيد غراي لدى وصوله هو البحث عن عنوانك وايجاد مسكن ومن الواضح جداً انه تبعك الى الادغال فاستنتج اخي من كل هذا ان زيارته شخصية».

«اجل لكن...» تسارعت خفقات قلب ماري واخفضت بصرها.

«والا كان اخي ذهب الى المستشفى لتقديم اي مساعدة» اكملت الاميرة.

«لكنه شعر بأنه سيكون متطفلاً، اذا زاره اليوم خشي اخي ان يزعج السيد غراي، لمعرفة الاثارة التي سببها وصوله، فحتى الرجل الغني له الحق في الاختلاء».

«انا... انا متأكدة ان ستونر سيسعد بلقاء الملك» قالت بعصبية «فكما تعلمين لدي عملي، ويجب ان اعود الى البيت، فستونر سيكون وحده الآن». قالت ماري.

«ما رأيك لو يتم نقل السيد غراي من المستشفى الى احدى غرف القصر، فسيزوره الطبيب هنا يومياً، وسيلقى العناية الكافية، هل تظنين ان ذلك سيناسبه؟».

كانت ماري متأكدة ان ذلك يناسبه جداً، لكنها قالت من باب اللياقة.

«آه، لا اظن ان باستطاعتنا تسبيب هذه المتاعب لكم و...».

«ليس هناك اي مشكلة» قالت الاميرة «فالسيد غراي رجل غني وذا نفوذ آنسة برينتون ونحن بحاجة لدعم رجال مثله فسيكون اخي سعيداً جداً ببقائه معنا نحن ترددنا فقط لاننا لم نكن متأكدين من رغباته» قالت عائشة.

«اعتقد انه سيكون ممتناً جداً للطافتكم» قالت ماري.

«وسيكون بامكانك زيارته حين تريدين».

تركت القصر وهي تشعر بالارتياح لسهولة مهمتها فالآن سيكون لدى ستونر الكثير من الوقت ليتكلم فيه مع الملك لكنها صممت ان لا تزوره. فقد لعب خدعته الاخيرة معها.

في اليوم التالي ذهبت جيس وماري وجيريمي الى الكوخ حيث عملت جيس بينما ماري وجيريمي شاهدوا الحيوانات ثم حضرت ماري طعام الغذاء فدخلوا الى الكوخ ليأكلوا.

«اخشى ان ذلك النمر الذي هاجم صديقك حياته قصيرة». قالت جيس.

«ماذا تعنين؟».

«القرويون غاضبون منه، فأحياناً يأخذ النمر طفلاً وجميعهم خائفون فهم يريدون قتله».

«آه يا للنمر المسكين».

لا يمكنك لومهم فمن غير الطبيعي اقتراب النمر من الاكواخ فلا بد انه آكل لحوم البشر وهذا خطر جداً.

اكملوا طعامهم في صمت وعادوا الى اعمالهم.

وفي اليوم التالي ذهبت جيس كالمعتاد الى عملها، بينما ماري مع جيريمي وليسبا في السوق وعندما عادوا لعبوا قليلاً ثم تناولوا طعامهم.

دخل رحايب عليهم فانحنى ثم نظر الى ماري.

«لك رسالة من القصر» قال وناولها ظرف ابيض فتحته وكأنها عرفت ما بداخله، فستونر لم يضيع وقته ابداً فكلماته الآمرة غير الصبورة قالت.

احضري الى هنا حالاً حتى انها لم تحمل توقيعاً.

«كيف وصلت الرسالة؟».

«بالسيارة وهي تنتظرك في الخارج لتأخذك الى القصر» قال رحايب.

«الى القصر؟» رفعت جيس حاجبيها «لترى الملك؟».

«لا» قالت ماري، «ستونر غراي يريد رؤيتي».

«هل هو في القصر الآن؟ لا بد ان الامر طارىء فالوقت متأخر على الدعوات الآن».

اعتقد انه يجب علي الذهاب فربما احتاج لمساعدة.

«افعلي ما تريدين يا ماري» قالت جيس.

وصلوا الى القصر فقادها الخادم الى غرفة ستونر غراي. فطرقت على الباب.

«ادخلي» قال ستونر.

كان ستونر مستلقياً على اريكة منخفضة فما زال يبدو مريضاً لكن هناك بعض التحسن منذ رأته آخر مرة.

«حسناً اقتربي لا استطيع رؤيتك من هناك».

«ماذا عنت تلك الرسالة المختصرة؟».

«ماذا تقصدين بابتعادك عني ليومين؟».

«لا شيء فقط كنت مشغولة بمشاهدة الحيوانات مع جيس وجيريمي» ثم اضافت بسخط.

«وفي المساء تناولت العشاء مع بيتر».

«آه يا للشاعرية، الى اي درجة وصلت علاقتكما؟ هل مارس معك الحب؟».

«بعض القبل فقط» قالت مدافعة عن نفسها.

وضع يده على اصابعه «توقفي عن التململ هكذا فأنك كقطة على نار».

«لمسة يده جعلتها ترتعش «كيف... كيف سارت امورك مع الملك؟» سألت.

«اسهل مما تصورت» قال بهدوء «وكأن الامر انقلب فهو بحاجة لي بقدر ما انا محتاجه، فهو يفتقر لرأس المال، وكان متشوقاً لاتمام صفقة، اظن اننا سوياً سنجني الكثير من المال».

«وجدبور؟ هل ذلك سيعود بمنفعة عليها؟» سألت بسخرية.

«السخرية لا تليق بك اجل جدبور ستنتفع كثيراً انها بحاجة للاستثمارات، للصناعة والسياحة وسأمول كل هذا».

حاولت ماري سحب اصابعها من قبضته لكنها شد عليها بقوة.

«دعني يا ستونر» قالت لاهثة.

«لا» تمتم.

«لا استطيع البقاء اكثر فالطريق طويلة».

«احب ذلك الثوب» رد دون اكتراث لما قالته «اللون يناسبك كما أنه يبرز انوثتك».

«شكراً لك».

«لا تفعلي هذا انت لست بحاجة لهذه الخدع».

«خدع؟» انفجرت بغضب «انت...».

ضحك لتعابيرها «ايتها الفتاة العزيزة لقد عرفت الكثير من النساء انا لا انخدع بهذه الحيل القديمة تطريف الاهداب والنظرات الشاردة الرأس المشرئب».

تحركت ماري لتنهض لكنه شدها بيد واحدة فلم تجروء على مقاومته حتى لا تؤلمه.

«يجب ان اذهب» قالت بعصبية.

«قبليني اولاً» همس امام فمها.

«انت تقودينني للجنون، هل تعرفين ذلك؟».

«انا؟» كان صوتها لاهثاً «لم الاحظ ذلك».

«لقد كنت مشغولة جداً، باقناع نفسك انك تكرهينني».

«ماذا تقول؟ ماذا تعني؟» كانت تعلم انها على حافة البكاء.

«بل تفهمينني انت تعلمين كيف اشعر تجاهك...».

«لا اعلم... اتمنى لو اعلم...».

«اريد ان آخذك للفراش انت جميلة ومرغوبة واريدك، انه سوء حظي الذي جعلني اغرم بفتاة نصف حية نصف جامدة وتفضل ان تعامل كلعبة جميلة، اكثر من ان تعامل

كامرأة..».

«اي رجل اريدالزواج به، يجب ان يكون مخلصاً بقية حياته» قالت بتعاسة.

«وهل كنا نتكلم عن الزواج؟» سأل بوقار.

«اعرف انك لم تكن تتكلم عن ذلك، لكني لن اذهب معك للسرير عرضياً هكذا وكأنني اختار قبعة يا ستونر، عندما اقع في الحب فذلك سيكون للابد».

«وأنا لست مؤهلاً» تمتم.

«انت لا تستطيع اللعب حسب القوانين» قالت.

«الحب ليس له قواعد يا عزيزتي» قال.

«بل له قوانين عندي انا».

«لديك الكثير لتتعلميه».

«ليس منك».

«ممن اذاً من ذلك الباحث للآثار الذي انتقيتيه؟ فأنه يبدو غير خبيراً مثلك تماماً».

«اذا ربما ستتعلم سوياً، وانتبه ففي مثل سنك يجب الانتباه لضغط الدم».

«يا لك من مشاكسة» تمتم.

«تصبح علي خير يا ستونر».

«عودي غداً» قال بسرعة وهي تفتح الباب لكنها لم ترد.

الفصل الحادي عشر

بعد كل زيارة من ماري لستونر كانت تتناول ماري الشاي مع الاميرة عائشة في جناحها الخاص او في الحديقة المغلقة الخاصة بالحريم، وغالباً من كانت مناقشاتهم تدور حول العمل.

ناقشت هذه المشكلة مع الاميرة عائشة وعزيز خلال جلسات الشاي، ففي احدى المرات استدارت ماري فجأة فرأت عزيز يقبل اصابع عائشة وعيناه على وجهها وهذا يعتبر انفجار عاطفي بالنسبة لعالمهم المليء بالرسميات والعادات.

نظر عزيز اليها بغضب.

«انا والاميرة لا نرى بعضنا ابداً وحدنا، يا آنسة برينتون، فاما بوجدك انت او بوجود احد الوصيفات فلا تشتبهي باي شيء آخر اعطيك كلمتي بان لا شيء افعله يؤذي الاميرة».

نظرت اليه مباشرة «باستثناء ان ما تفعله سيعرف عاجلاً ام آجلاً وستكون بالنسبة لها المصيبة الكبرى».

قطب عزيز حاجبيه «ماذا يمكننا ان نفعل غير ذلك؟»

نظر بعينين يائستين «المستقبل قاتم بالنسبة لنا، هل تعرفين انني خطبت لفتاة في الثالثة عشر من عمرها، يا آنسة برينتون؟ فقد تدبر ابي ذلك منذ عشر سنين، ولم ارها ابداً ولن اراها قبل سنتين، وذلك في يوم الزفاف عندما تنزع الحجاب بعد ان نكون قد تممنا الخطوات السبع حول النار، النار هي رمز اساسي في احتفال الزفاف، فنحن نلف حولها سبع خطوات وبذلك يتم الاحتفال، فنصبح زوج وزوجة وعندها فقط تكشف الزوجة عن وجهها».

شعرت ماري بالاسف لاجله فالزواج من شخص مجهول فكرة مخيفة جداً.

كان رحايب ينتظرها خارج القصر، فقد ذهب الى السوق ليشتري لليسبا هدية بعد ان اخبرته بانتظارها لمولود جديد.

«ليسبا زوجة جيدة فقد انجبت لي ثلاثة ابناء وربما ستنجب الابن الرابع» قال رحايب بسعادة.

نظر اليها رحايب معتذراً «اعرف ان الامر في عالمك مختلف، لكن هنا الامور كما هي منذ آلاف السنين».

«ارجوك يا سيدي هل تساعدني في اصلاحها-فقد توقفت فجأة» كان صوت رجل يطلب مساعدة في اصلاح سيارته المتوقفة على الطريق.

«بالتأكيد» ذهب رحايب لمساعدة الرجل.

فجأة حمل الشاب قطعة خشبية وضربه بها على رأسه.

صرخت ماري بينما هوى رحايب على الارض ولم تكد تصل الى المفاتيح لتقود السيارة حتى ركب السيارة عدد من الشبان، وواحد منهم يحمل مسدساً.

اقتادوها الى بيت قديم وانزلوها من السيارة.

«لماذا احضرتموني الى هنا؟» سألت مرتجفة ناظرة اليهم.

قال الشاب الذي يحمل المسدس بتهذيب.

«انت رهينة يا آنسة برينتون».

«رهينة؟ لاي غرض؟».

«لدينا مطالب نتمنى ان يسمعوها وحتى يسمعوها سنبقيك عندنا».

«لكن ليس لي علاقة بوطنكم» اعترضت.

«انت امرأة رئيس اونيكس وبالتأكيد سيرغب في تحريرك وسيقنع الملك بسماعنا».

«واذا لم يفعل هكذا؟ ماذا لو رفض الملك الضغوط؟».

«سيكون ذلك سيئاً لك».

جلست ماري فجأة على حافة السرير الموجود في الغرفة.

فخرج الرجال وهم يحدقون بها، فقد عقدوا اجتماعاً صغيراً سريعاً ثم عاد الشاب الذي يحمل المسدس وقال بخشونة.

«من فضلك اكتبي رسالة الى السيد غراي كما املي عليك» امر الرجل.

«اكتبي بأنك سجينة واننا سنطلق سراحك اذا وعد الملك بتحرير السجناء السياسيين ووقف المفاوضات مع السيد غراي بشأن مشروعه السياحي».

نظرت ماري اليه باستغراب «انت ضد المشروع؟».

«اكتبي ما املیه عليك ولا تسألي اسئلة حمقاء».

«لكنه سيدر عليكم اموالاً طائلة وآلاف السياح وسيوظف الكثير من الناس في جدبور».

«الملك يحول بلدنا الى ديزني لاند للاغنياء الاجانب» قال بمرارة «نحن مزارعين اذا اتى كل هؤلاء الاجانب، فالمزارعين سيتركون ارضهم ليكسبوا مالاً من خدمة الاجانب، وبذلك نخسر كرامتنا وحريتنا».

«تريد ان تبقى جدبور كما هي للابد» سألته بهدوء.

لمعت عيناه «اكتبي فأنت لا تعرفين شيئاً».

كتبت ماري الرسالة كما امرها، ثم انتزع الورقة من يدها وقرأ ما كتبته ثم نظر اليها.

«انها غير موقعة وقعي اسمك».

نظرت ماري الى الورقة فبدت الكلمات تحترق كلمات كانت تعرف انها لن تكتبها ابداً فكتبت ببطء.

«ستونر افعل ما يجب عليك فعله، لا تقلق فهم لطفاء» ثم وقعت الرسالة واقفلت المظروف بسرعة وناولته للرجل الذي قال لها بلطف.

«ستحررين قريباً فعندما يقرأ رجلك هذا سيحرك السماء والارض».

في فجر اليوم التالي دخل شاب الذي يحمل مسدساً

الى غرفة ماري فاستيقظت مذعورة جلست وحدقت به.

ضحك بصوت عال ملوحاً بيديه.

«لقد تم كل شيء» صرخ بسعادة «اطلقوا سراح المساجين واعلن الملك وقف المشروع في الوقت الحاضر والسيد غراي سيغادر جدبور دون اتفاقيات».

«لقد عرفتم بذلك؟» متسائلة متى سيطلقونها.

نظر اليها بحدة مقطباً جبينه «انت لا تفهمين كيف تجري الامور هنا».

«متى ستحررونني؟» سألت وخافت من اغضابه اكثر.

«عندما يحل الظلام» وعدها مبتسماً «سآخذك الى مكان ما واطلق سراحك».

انتظرت ماري بفارغ الصبر لحظة تحريرها فلم تستطع عمل شيء طوال النهار حتى انها لم تأكل.

واخيراً حل الظلام، فاقتيدت الى الخارج وعصبوا لها عينيها كانت الطريق وعرة وغير مريحة وكما لاحظت فهم لم يعودوا من نفس الطريق التي اتوا منها واخيراً توقفت السيارة فدفعوها منها بقوة وعادت السيارة بسرعة من حيث اتت ففكت ماري الرباط عن عينيها بيديها المرتجفتين.

نظرت امامها فرأت قرية صغيرة فمشت بصعوبة الى اول بيت وطرقت على الباب وجسدها يرتجف.

فتح الباب قليلاً ثم ظهر وجه قاتم ينظر اليها بحذر.

«ساعدني» قالت ماري وهي تكاد تقع على الارض تراجع الوجه الى الداخل فسمعت اصواتاً ثم اتى شخص آخر الى الباب فأدركت ماري انهم لا يتكلمون الانكليزية

عدا انهم ذهلوا لرؤية فتاة الانكليزية في مثل هذا الوقت في القرية لوحدها ولم يكن لديها مال او اي طريقة لشرح ما تريد.

رفعت يديها وقالت «لاهلي» قالت «انا... اذهب الى لاهلي السيد حائني» وبدأت تردد كل اسماء العائلة الملكية».

فنظر احدهم اليها ثم تكلم الى الآخرين وركض في الظلمة عاد بعد لحظات ومعه حمار فأشار لماري كي تصعد على الحيوان.

«لاهلي» قال لها الشاب.

فجأة وصل الى اسماعهم صوت محرك شحن، فتنحى المزارع جانباً ليدعه يمر لكن عوضاً عن ذلك حاصرهم الشحن الذي كان على متنه العديد من الجنود، يصرخون ويطلقون العيارات النارية ارتجف المزارع من الرعب حتى تعرفت ماري على عزيز الذي كان يجلس في المقدمة يبتسم بسعادة.

«عزيزتي الآنسة برينتون كم انا سعيد برؤيتك حية».

ثم نظر الى المزارع «ستدفع ثمن هذا ايها الحيوان».

«ليس له علاقة بكل هذا» اكدت له ماري بسرعة واضعة يدها على كتف المزارع.

«لقد ساعدني فقط عندما تركوني اولئلك في القرية» اخبرت عزيز كيف تم تحريرها فأعطى عزيز للمزارع بعض النقود وتركه يرحل.

ساعدها عزيز لتصعد الى الشحن واخبرها وهم عائدون

الى لاهلي ان ابن عمه قد هاله امر اختطافها خاصة عندما اصبح ستونر بحالة غضب وقلق.

لقد بحثوا في كل مكان فكروا به لكنهم لم يجدوا شيئاً.

«لذلك اضطر الملك لان يتنازل فلم يستطع المغامرة بحياتك، فالسيد غراي لن يستثمر اي مشروع عندنا، اذا تم قتلك».

نظر عزيز اليها مبتسماً ثم غرق في الصمت.

نامت ماري بسرعة فوقع رأسها على كتفه.

الفصل الثاني عشر

استيقظت عندما توقف الشحن خارج بوابات القصر.

ابتسم عزيز لها «السيد غراي سيغار اذا علم انك غفوت على كتفي لمدة طويلة، دعيني اساعدك بالنزول» انزلها ووضع ذراعه حولها لانها لم تستطع السير.

«هل احملك؟ اتستطعين المشي؟».

هزت ماري رأسها «باستطاعتي المشي الآن...».

ساروا عبر الاروقة الرخامية، فركض احد الجنود ليعلم الملك بوصولهم، وهم يقتربون من الجناح الملكي، استقبلهم الملك بنفسه، بوجه متعب.

«آنسة برينتون! شكراً لله، انت آمنة لقد نفذوا وعدهم اولئك الكلاب، لقد بدأنا نظن...» توقف عن الكلام عند وصول ستونر.

نظرت ماري اليه مركزة على وجهه، كان شاحب الوجه فوقف يحدق بها وكأنه لم يرها من قبل.

www.elromancia.com

«انت تريدان التكلم على انفراد» قال الملك بهدوء «ارجوك استخدم غرفتي».

امسك ستونر يد ماري وساروا نحو غرفة الملك، فتوقف قليلاً ليشكر الملك قبل اغلاق الباب، ثم اغلق البا واتكأ عليه محدقاً بها.

كانت ماري عصبية ومتوترة وبالكاد تستطيع التقاط انفاسها، فقد بدت الغرفة وكأنها مليئة بالكهرباء.

«يا الهي» زمجر ستونر «آه، يا الهي ماري...».

ثم تحرك نحوها بسرعة وطوقها بذراعيه وقبلها بجوع وحشي متمتماً اسمها مرات ومرات.

«كنت قد بدأت افكر انهم سيقتلونك» قال بصوت مختنق وقبلها من جديد.

«لقد جننت كنت اود ان امزق هذه البلاد بحثاً عنك لكنت قد دفعت اي شيء او فعلت اي شيء لاسترجعك سالمة».

شعت عيناها الزرقاوان بعبادة «ستونر» تنفست برقة.

«حبيبي...».

تراجع الى الوراء محدقاً بها «كرري ما قلتيه ثانية».

«حبيبي» كررت بطاعة.

«قولي انك تحبينني» طالبها بتعجرف.

طغت سعادتها على كل ما مضى من تحفظات على كبريائها واحترام ذاتها.

«احبك، احبك» همست.

«ثانية» امرها.

رفعت نظرها اليه، بثورة طفيفة «ستونر؟».

«اريد ان اسمعك تقوليها» قال واملأت خطوط وجهه بالتعجرف القديم.

«اظن اننا ما زلنا نعني اموراً مختلفة بكلمة حب» قالت بحزن مفاجيء.

«حقاً؟» مقبلاً شفتيها «سيكون لدينا الكثير من الوقت لنكتشف ذلك بعد زواجنا».

تجمدت ماري مركزة عينيها على وجهه «نتزوج ستونر؟».

«اجل» قالت بخفة «لقد كسرت روحي كيف يمكنني ان ادعك هكذا تجوبين العالم دون حماية، وانت توقعين نفسك دائماً في متاعب شتى؟ اخشى انني سأضطر اكمال ما كان يفعله ابيك، لفك في قطعة صوف، امطر عليك الهدايا الثمينة ادللك واعبدك».

امسكت وجهه بيديها «كن جدياً يا ستونر، ولا تلعب احدى الاعيبك».

«لم اكن جدياً اكثر من الآن في حياتي كلها» قال بسرعة.

«لقد قلتها» همست «لم لا تستطيع انت؟».

فجأة امتلأت عيناه بالمرارة «انا خائف يا ماري، خائف من فقدان نفسي، من الغرق في محيط من الحب، كان هذا دائماً في طبيعتي! ضعف من الحاجة الى الحب، وفقدانه لذلك عمدت الى مقاومته طوال حياتي، ثم التقيت بك وعندما قبلتك تلك الليلة في الصحراء شعرت بخطرك

www.elromancia.com

ادركت انني اذا تركت نفسي اقع في حبك، سيتمادى هذا الحب لدرجة لن استطيع الرجوع منه، لكني لاحظت ذلك مع الوقت، وكان قد فات الاوان، ومنذ ذلك الحين وانا احاول الهرب من الفخ لكن دون جدوى لم انجح ابداً».

«حقاً يا ستونر؟ لكنك لم تقلها بعد».

حدق بها رافعاً ذقنه بغضب «لكني اعترفت بها مرات ومرات، ماذا تريدين اكثر من ذلك؟».

لم تجبه بل بقيت مركزة نظرها على وجهه.

اغمض عينيه نصف غمضة وقال.

«حسناً، احبك احبك، ليساعدني الله».

ضحكت ماري «تبدو كأنها انتزعت منك بعد عذاب واضطهاد».

«او لم تفعلين هذا؟ لقد انكرت علي قبلة لمدة خمس دقائق، او ليس هذا اضطهاداً وحشياً؟» شدها نحو بيده «يجب ان نعود الى انكلترا ونتزوج قبل ان افقد السيطرة على نفسي».

«لا يمكنني ترك جيس دون ايجاد شخص يعتني بجيريمي».

اعترضت «فهو بحاجة لعناية دائمة».

«سنبعث اليها بشخص ليحل مكانك» قالت بسهولة «وتلك المرأة هناك تحل مكانك ريثما تصل الفتاة الجديدة» نظر اليها بلطف.

«كانت جيس قلقة جداً عليك، وقد لامت نفسها لما حصل لك، وفكرت بانها لو لم تحضرك معها الى هنا، لما

حصل لك كل هذا».

«مسكينة جيس» قالت «يجب ان نذهب الى البيت ونعلمها بالاخبار السارة».

«اعتقد ان الملك يريد ان يسألك بعض الاسئلة اولاً».

اخبرها «يريدون ان يحاولوا القبض على هؤلاء المعترضين واية معلومات تعطيها ربما ستساعدهم».

«لكني لا اعرف شيئاً» احتجت لقد ادركت انها لا تريد المساعدة في القبض على اولئك الشبان اللذين احتجزوها فقد عاملوها بمنتهى اللطف، وحتى تهديدهم بقتلها لم يكن جدياً او مرعباً.

«لقد رأيتهم الم تريهم؟ الم تري وجوههم؟».

«فقط في انوار خافتة جداً لن استطيع معرفة اياً منهم فقد كانوا هنود عاديين».

حدق ستونر بها قاطباً حاجبيه.

«ماري هل تحاولين حمايتهم؟ لانك اذا تفكرين بذلك فدعيني اذكرك ان الشخص الثاني الذي ربما سيخطفونه لن يكون محظوظاً مثلك، لا يمكن السماح لهم بالافلات هكذا».

«انا لست اخفي شيئاً لكنني لا اعرف شيئاً سيساعدهم».

مشى ستونر الى الباب وفتحه تكلم مع الحراس ثم عاد اليها.

«من الافضل ان تجلسي» قالت «فهذا سيأخذ بعض الوقت».

«انا تعبة جداً يا ستونر» قالت بكآبة «وجائعة الا يمكن لهذا ان ينتظر».

الفصل الثالث عشر

اسرع الملك في الدخول الى الغرفة فابتسم لها بود.

«هل كل شيء على ما يرام الآن بينكما؟ جيد والآن آنسة بريتون اريد ان اسألك بعض الاسئلة ثم سأرسل بك الى السيدة كنينغهام في السيارة حتى ترتاحي او تفضلين البقاء هنا في القصر قرب السيد غراي» لمعت عيناه «ايهما تفضلين؟».

«اظن من الافضل الانضمام الى السيدة كنينغهام يا سيدي» قالت.

«عرفت انها قلقة بشأني ولا اريد ابقاءها هكذا اكثر».

«هذا تفكير جيد منك» قال ثم نظر الى ستونر «الن تجلس سيد غراي؟».

جلس ستونر قرب ماري على الاريكة المنخفضة فاتكأ وامسك لها يدها بقوة. بينما نظرت هي الى الملك بحذر.

«اولاً آنسة بريتون هل يمكنك اخباري اسماءهم؟».

www.elromancia.com

هزت رأسها نفياً.

«الم ينادوا بعضهم في وجودك؟ هل انت متأكدة؟».

«متأكدة تماماً» اومأت برأسها.

بدا الملك محبطاً «انهم اذكى مما توقعت اذاً اين احتجزوك؟ هل تعرفت الى المكان؟».

شرحت له ماري انها احتجزت في بيت منذ وصلوها وحتى غادرته في الظلمة.

«كانت الغرفة مقفلة دائماً وليس لدي ادنى فكرة عن مكان وجود البيت» قالت.

«هل كان في بلدة؟ هل سمعت اصواتاً تعطينا اي دليل؟».

«كان في الري، اظن لقد سمعت صوت ابقار وصوت رياح تنفخ في الاشجار».

«الم تسمعي صوت ماكينات؟ اي اصوات في الخارج اصوات من بيوت اخرى؟».

«لا شيء كهذا، فكل شيء كان هادئاً وساكناً».

«هل كانت مارشلاند؟» سأل ستونر «لا بد انك لاحظت اي نوع من الريف اخذوك اليه؟».

«لقد كنت معصوبة العينين» شرحت.

«اي نوع من الطرقات كانت؟ رئيسية ام فرعية؟».

«طرقات قاسية ذات تلال صغيرة».

اندهش ستونر «كيف عرفت انها طرقات ذات تلال؟».

نظرت اليه مباشرة «لاننا كنا ننزل بسرعة مختلفة كلما التقينا بتلة فاستطعت القول انها تلال».

«جيد» قال الملك «هذه نقطة جيدة قرية في التلال، وبيت منعزل».

«لم تكن قرية» قالت بسرعة «انا متأكدة انني كنت قد لاحظت اي اصوات من بيوت اخرى».

«مزرعة» قال ستونر بهدوء «فالابقار تؤكد ذلك، مزرعة على تلة صغيرة».

اومأ الملك «هناك فقط المئات منهم» قال بوجوم «لو اتخذ الامر سنة كاملة سنفتش في كل واحدة».

«هل كلموك؟» سألها ستونر «بالتأكيد فعلوا اليس كذلك؟».

«تكلموا فقط عندما يضطرون لذلك» اخبرته «في الواقع لقد رأيت شخصاً منهم اكثر من مرة كان يحمل مسدساً».

زمجر ستونر «هل هددك؟ هل أذاك؟» كانت عيناه غاضبة متوحشة.

هزت رأسها «لم يؤذني ابداً فقد كان مهذباً جداً».

«اذاً كلمك؟» كرر ستونر سؤاله.

«تكلم في مناسبتين فقط فهو من املى علي الرسالة التي كتبتها لك» قالت ماري.

«لكن ليس الكلمة الاخيرة؟» قال برقة.

«لا، انا كتبت ذلك» قالت محرجة.

«هل يستطيع قراءة الانكليزية؟ لماذا لم يمزقها؟ فقد كانت رسالة بالكاد ارعبتني».

«كان متسامحاً جداً فسمح لي بكتابة بعض الكلمات التي لن يقرأها» ترددت ثم قالت.

«لقد اعتقد انني اكتب لك رسالة غرامية فقط ظن ان هذا سيجعلك متلهفاً لتجدني الا ترى، فقد كان متأكداً انني لا اعرف شيئاً يساعدكم فلم يطلب قراءة ما كتبت حتى».

نظر الملك الى ستونر وتنهد «هذا يبدو واضحاً، ولماذا سيسمح لك كتابة رسالة خاصة؟».

قال ستونر «اذا كان هذا كل ما في الامر يا صاحب الجلالة هل تسمح لي بمواكبة ماري الى البيت».

«لا» رددت ماري بسرعة «سأذهب بمفردي فجيس قد قلقت ما فيه الكفاية، وانت ستزود لها قلقها».

بدا ستونر مذهولاً لكن الملك ابتسم له «ستكون آمنة، سأرسل معها ستة جنود ليحرسوها».

عادت ماري الى البيت بسيارة يقودها عزيز الذي بدا مرهقاً وحزيناً ويواكبهم الجنود.

«ما بك؟» سألت ماري عزيز.

«في كل هذه المشاكل عرف ابن عمي بقصتي مع عائشة وامرني بعدم رؤيتها ثانية اظن ان احد الخدم اوشى بنا».

«هل غضب الملك؟».

«جداً» قال عزيز بتجهم.

«وماذا سيفعل الآن؟».

«قال انه سيتدبر امر زواج عائشة في الحال» قال عزيز بحزن.

«توسلت اليه ان يسمعني، لكنه اجبرني على الخروج

من الغرفة وهدد بقتلي».

«مسكينة عائشة... اتساءل اي نوع من الازواج سيأتي به لها؟».

«الله اعلم» قال عزيز بتعاسة.

«انا متأكدة انه سيحاول ايجاد شخص مناسب وقريب من عمرها».

«هل تقولين هذا لتقتليني؟ هل انا حجر حتى اسمع اقوال كهذه دون ان انزف في داخلي؟».

«انا آسفة لقد ظننت انك تفضل لها فرصة في السعادة بدلاً من اجبارها على الزواج من رجل عمره ضعف عمرها...».

وصلوا الى البيت فتمتم عزيز «الى اللقاء» ومشت هي نحو البيت حيث انفتح الباب.

«ماري يا عزيزتي...».

«اهلاً، جيس» ابتسمت.

«حضنتها جيس بقوة ودموعها تنهمر «لماذا تبدين هادئة جداً؟ فالرعب يسيطر علي، هل ستسامحيني؟ انه خطأي... لم يجدر بي احضارك الى هنا ابداً لا بد انك خفت كثيراً».

«ليس كثيراً فقد كانوا لطفاء معي».

«هيا تعالي اخبريني عن كل ما حصل وانت تأكلين، لا بد انك جائعة».

«جداً» قالت ماري.

«لقد اعطاني بيتر علب طعام نكليزي» قالت جيس

بعدما ارتاحت عيناها «فقد قلق كثيراً وارادك ان تأكلي طعاماً انكليزياً عندما تعودين».

«كم هو لطيف هيا لا استطيع انتظار» نظرت ماري اليها بتأثر ومحبة.

بعد ساعة من الطعام جلست ماري تراقب جيس وهي ترسم صورة لها.

«انها لبيتر» اخبرتها جيس بابتسامة «فلقد عرفت من القصر ان بيتر خاب ظنه».

احمر وجه ماري «اخشى ذلك، لقد اعجبني كثيراً لكن...».

«لكن ستونر غراي سيربح المعركة كالعادة» قالت جيس.

«هكذا اخبرني رحايب، لقد دهشت فلم اظن حتى انك معجبة به».

«لست متأكدة من ذلك» ضحكت ماري بعبث.

بدت جيس مهتمة «هل انت متأكدة انك تفعلين الشيء الصحيح؟ فستونر غراي ليس من السهل التعامل معه».

«المشكلة يا جيس» وضعت ماري يديها في حضنها.

«انني مجنونة به وهو كذلك» شعرت بوجنتيها تتوهج.

«قال رحايب انه غضب جداً لما حصل، وقد هدد بقطع رحايب قطعاً صغيرة اذا لم يجدوك».

«صراخه اسوأ من افعاله كيف اصبح رحايب الآن؟».

«جيد لكنه عانى من جرح كبريائه اكثر، لانه انخدع بهذه الحيلة البسيطة مسكين رحايب، لن ينساها ابداً» قالت

جيس ثم نظرت الى ماري محدقة بها «تبدين متعبة اذهبي الى النوم».

«اريد ان آخذ حماماً اولاً» فنهضت ماري وقبلت جيس.

في اليوم التالي عندما استيقظت وجدت جيريمي جالساً على حافة سريرها، يحدق بها.

«مرحباً ظننت انك مت» قال.

«حسناً لم امت» ردت بسرعة.

«هل اختطفوك العصابات؟».

«نوعاً ما» قالت.

«هل خفت؟».

«اجل».

قال لها «انا لم اكن سأخاف كنت اختبئت ولن يجدوني».

«فكرة جيدة» قالت ضاحكة.

قفز عن السرير «قالت لي امي ان اخبرك بقدوم السيد غراي بعد ساعة وهل تريدين اكل شيء؟».

جلست ماري «اجل انا جائعة».

نظرت جيس الى ماري عندما دخلت الى غرفة الجلوس.

«تبدين اليوم افضل بكثير، هيا لتتناولي افطارك؟ فهناك فاكهة وخبز وبعض البيض».

جيد» قالت ماري بجوع.

«ستونر غراي سيكون هنا بعد قليل. ومن الواضح انه صمم على ارجاعك الى انكلترا اليوم».

«اليوم» حدقت ماري بها غير مصدقة.

ضحكت جيس: «رجل ذا قرارات سريعة، وحاسمة».

«لا يستطيع ذلك! فلم احزم امتعتي بعد!».

«ذلك يمكن عمله بثانية». قالت جيس، بعد ان دخلت ليبا مبتسمة.

«بامكان ليبا حزم الامتعة بينما انت تتكلمين مع رجلك».

ضحكت ماري «رجلي».

ثم دخل ستونر الى الغرفة وبالكاد ماري لا حظته، فانقض عليها وقبلها بجوع، فأيقظها من آثار نومها.

«حبيبتي كم انا سعيدة برؤيتك» قالت، تتلمس وجهه بحنان.

«هل حزمت امتعتك؟» قال ثم اضاف:

«سآخذك الى الوطن قبل ان تنفتح نار جهنم».

«ماذا تعني» حدقت به باستغراب.

«هرب عزيز مع عائشة» قال بتجهم وأضاف:

«الملك غاضب، كان يقسم اليمين بقتله عندما رأيته هذا الصباح. اظن انه يجب ان نذهب اليوم. فالحياة في القصر ستكون عصيبة بعد اليوم».

نظرت ماري اليه بفضولية: «ماذا سيفعل الملك؟».

«ماذا يمكنه ان يفعل؟ فمن الواضح انهم ذهبوا بطائرة خاصة، الى مكان لا يعرفه احد تاركين ملاحظة تقول انهما سيتزوجان والسيد حائني غاضب اكثر من الملك، لأن ابنه فسخ عقد خطبة مدبر».

آه، يا الهي» قالت ماري بشحوب.

«اعتقد انك علي حق يجب ان نذهب الى الوطن، فالجو هنا عاصف جداً».

رفعها ستونر عن كرسيها.

«قولي وداعاً الى جيس والفتى، اريد ان آخذك لنفسي بأسرع وقت ممكن. لا يمكنني الانتظار اسبوعاً آخر لتتزوج. وستحظين بمعاملة خاصة عندما نصل الى الوطن».

«هل تقيد رجلي يا ستونر؟» قالت محاولة اغاظته.

«هذا صحيح» رد بسرعة. «سأتأكد انك لن تهربي مني ثانية، اعتبري نفسك سجينتي مدى الحياة».

طوقت عنقه بذراعيها وقربت وجهها من وجهه.

«انت حقاً لست سوى همجي من الصحراء اليس كذلك؟».

ابتسم لها بعشق والتقت الشفاه، ثم تمتم.

«هناك قول في بلاد أمي، ما تجده الصحراء، تحتفظ به... تذكري ذلك يا حبيبتي».